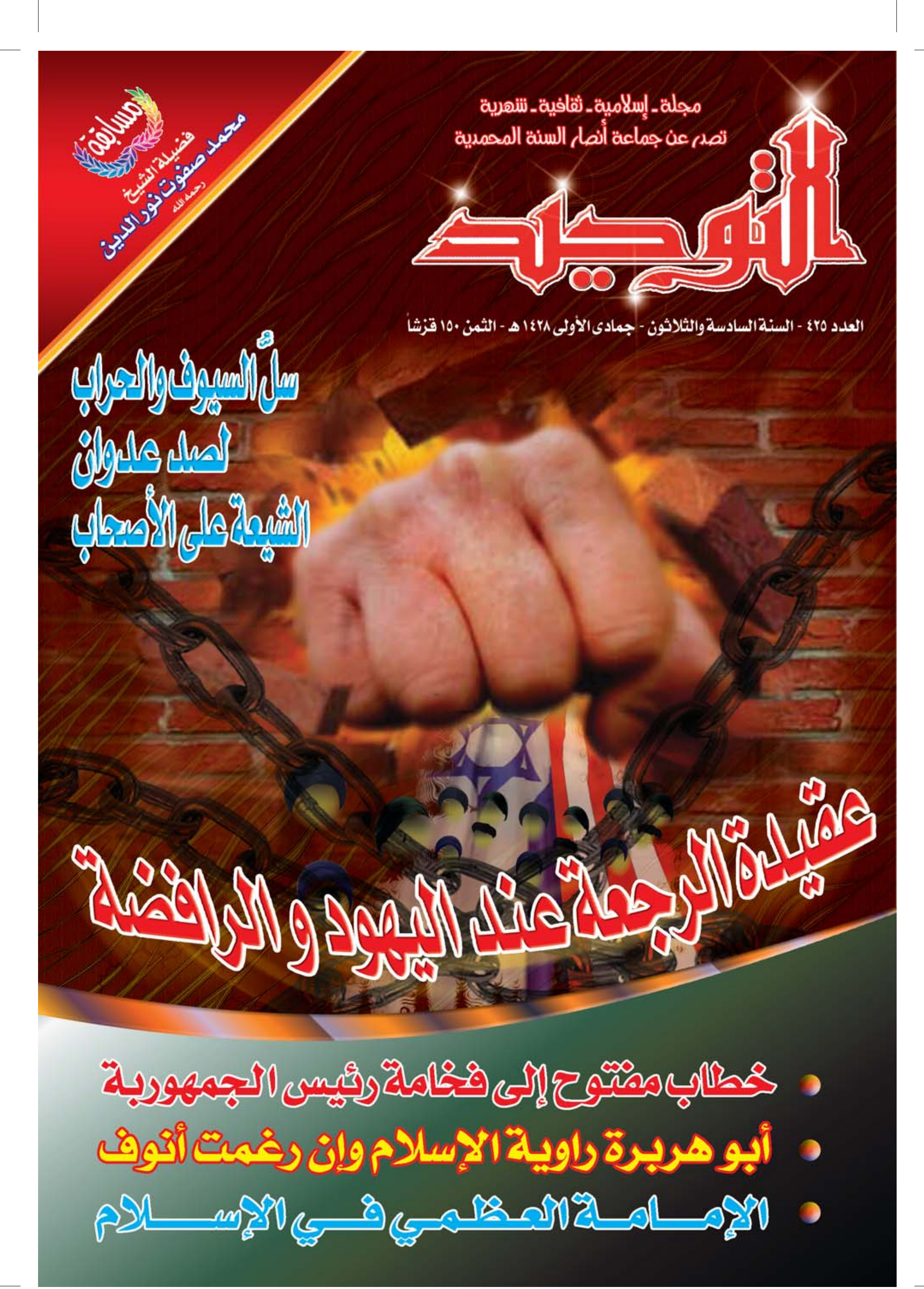

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٢٥ - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً
مسابقة
فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله
سلُّ السيوف والحراب
لصد عدوان
الشيعة على الأصحاب
عقيدة الرجعة عند اليهود و الرافضة
خطاب مفتوح إلى فخامة رئيس الجمهورية
أبو هريرة راوية الإسلام وإن رغمت أنوف
الإمامة العظمي في الإسلام





صورة الغلاف

السنة السادسة والثلاثون

العدد ٤٢٧ رجب ١٤٢٨ هـ

السلام عليكم

دخول الأقزام حقل الألغام!!

منذ أيام طعن أناسٌ في الصحابة الذين هم أئمة البشرية والعالم، وهؤلاء الطاعنون لم نتعرف على أشكالهم؛ مَن هم؟ وما تاريخهم؟ ومن آباؤهم وأجدادهم؟ وإلى أي سلالة ينتمي فصيلهم؟ وما وزنهم حتى يتحدثوا عن الصحابة حماة الدين وصُنّاع التاريخ والحضارة ؟! حتى يعرف العالم من هو ذا صاحب التقييم الخطير والاكتشاف الكبير الذي أعلن أنه سيدخل حقل الألغام بزعمه أن لقادة البشرية ملفات سرية!! لم نر إلا أسماءً نكرات، لا فضل لها ولا معروف، أُسقطت تلك الأسماء في ذيل ما سطروه من قبيح الكلام.

والذي اشتهر به زمننا الصعب أن مَن أراد أن يشتهر ويُعْرَف ويمتلئ جيبه فعليه أن يهاجم الإسلام وأهله، كما هوجم مؤخرًا من الصحابة الصفوة الأخيار، رضي الله عنهم أجمعين: أبو هريرة، وابن عباس، وعائشة، وخالد بن الوليد، ومن أعلام الحديث بل إمامهم؛ الإمام البخاري الذي يريد الطاعنون إسقاطه في أعين أهل السنة، فإذا سقط؛ سهل إسقاط مَن دونه من أئمة الحديث.

ولولا أن محاولة النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة لا تنجح غالبًا لنالوا منه كما نال منه أسلافهم من قبل، فاتهموه بالكذب والسحر والجنون، واتهموه في عرض زوجاته.

لذلك التفت هؤلاء الأذناب الذين يريدون الشهرة والعرض الدنيوي والسبق الإعلامي إلى الطعن في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من باب «خالف تعرف»، خالف شرع المسلمين تُعرف عند العالمين ! فالشيء يشتهر بالضد والمخالفة، كما يشتهر بالمجاورة والمصاحبة، مثلما اشتهر بسبب صحبته لأهل الكهف كلب باسط ذراعيه بالوصيد.

لكن الكلب نال شرف صحبة الأخيار، فما الذي ناله هؤلاء الأشرار الأقزام بدخولهم حقل الألغام؟!

التحرير

● صاحبة الامتياز ●
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).

٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة
Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير
Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات
See2070@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت
www.altawhed.com
موقع المركز العام
www.ELsonna.com

التوزيع الداخلى

مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية
قليوب ـ مصر



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد سبق أن تكلمنا عن عقيدة الإمام الشافعي ووعدنا بذكر عقائد بعض أعيان العلماء، وفي هذا اللقاء نتكلم عن عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازيَيْن.

-أبو زرعة الرازي هو الإمام، سيد الحفاظ،عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري.

طلب العلم وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة.

قال عنه أبو بكر الخطيب: وكان إماماً ربانياً، حافظاً متقناً مكثراً..جالس أحمد بن حنبل، وذاكره.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: ما جاوز الجسر أحد أفقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحفظ من أبي زرعة.

وكان إسحاق بن راهويه يقول: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي، فليس له أصل.

وقال سعيد بن عمرو البرذعي: سمعت محمد بن يحيى يقول: لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة، وما كان الله ليترك الارض إلا وفيها مثل أبي زرعة، يعلم الناس ما جهلوه.

وذكر إبراهيم بن حرب العسكري أنه رأى أبا زرعة الرازي، وهو يؤم الملائكة في السماء الرابعة، فقلت: بم نلت هذه المنزلة ؟ قال: برفع اليدين في الصلاة عند الركوع، وعند الرفع منه.

وقال أبو عبد الله بن منده الحافظ: سمعت أبا العباس محمد بن جعفر ابن حمكويه بالري يقول: سئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق: أن أبا زرعة يحفظ مئتي ألف حديث هل حنث ؟ فقال: لا.

ثم قال أبو زرعة: أحفظ مئتي ألف حديث، كما يحفظ الانسان: (قل هو الله أحد) وفي المذاكرة ثلاث مئة ألف حديث. «قال الذهبي في السير هذه حكاية مرسلة».

وقال إسحاق بن إبراهيم بن عبد الحميد القرشي: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: ذاكرت أبي ذات ليلة عن الحفاظ، فقال: يا بني ! قد كان الحفظ عندنا، ثم تحول إلى خراسان، إلى هؤلاء الشباب الأربعة.

قلت: من هم ؟ قال: أبو زرعة، ذاك الرازي، ومحمد بن إسماعيل، ذاك البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن، ذاك السمرقندي، والحسن بن شجاع ذاك البلخي.

قلت: يا أبه فمن أحفظ هؤلاء ؟ قال: أما أبو زرعة فأسردهم، وأما البخاري فأعرفهم، وأما عبد الله- يعني الدارمي- فأتقنهم، وأما ابن شجاع: فأجمعهم للأبواب.

حسن الخاتمة:

قال أبو جعفر محمد بن علي، وراق أبي زرعة: حضرنا أبا زرعة بماشهران، وهو في السوق، وعنده أبو حاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث.

فقال ابن وارة: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ابن أبي، ولم يجاوزه.

وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ ابن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة »، وتوفي رحمه الله.

توفي أبو زرعة الرازي، في آخر يوم من سنة أربع وستين ومئتين، ومولده كان في سنة مئتين.

أبو حاتم الرازي:

أبو حاتم بن إدريس بن المنذر الرازي هو الإمام الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي الغطفاني، من تميم بن حنظلة بن يربوع، كان من بحور العلم، طوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرح وعدل، وصحح وعلل.

ولد سنة خمس وتسعين ومئة، وأول كتابته للحديث كان في سنة تسع ومئتين.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت موسى بن إسحاق القاضي يقول: ما رأيت أحفظ من والدك.

وقال الخطيب: كان أبو حاتم أحد الأئمة الحفاظ الأثبات..أول سماعه سنة تسع ومئتين.

قال الخليلي: كان أبو حاتم عالما باختلاف الصحابة، وفقه التابعين، ومن بعدهم، سمعت جدي وجماعة، سمعوا علي بن إبراهيم القطان يقول: ما رأيت مثل أبي حاتم ! فقلنا له: قد رأيت إبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي ؟ قال: ما رأيت أجمع من أبي حاتم، ولا أفضل منه.

قال القاسم بن صفوان، سمعت أبا حاتم يقول، أورع من رأيت أربعة: آدم، وأحمد بن حنبل، وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زرعة الرازي.

قال القاسم: فذكرته لعثمان بن خرزاذ.

فقال: أنا أقول أحفظ من رأيت أربعة: محمد بن المنهال الضرير، وإبراهيم بن عرعرة، وأبو زرعة، وأبو حاتم.

قال الحافظ عبدالرحمن بن خراش: كان أبو حاتم من أهل الأمانة والمعرفة.

وقال هبة الله اللالكائي: كان أبو حاتم إماما حافظا متثبتا.

وذكره اللالكائي في شيوخ البخاري.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: جرى بيني وبين أبي زرعة يوما تمييز الحديث ومعرفته، فجعل يذكر أحاديث وعللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها، وخطأ الشيوخ، فقال لي، يا أبا حاتم ! قل من يفهم هذا، ما أعز هذا ! إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما أقل من يحسن هذا !



كان آخر كلام أبي زرعة عند موته روايته لحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وهذا ينبئ عن حُسن الخاتمة



وربما أشك في شيء، أو يتخالجني في حديث، فإلى أن التقي معك لا أجد من يشفيني منه. قال أبي: وكذلك كان أمري.

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي حاتم: كان- رحمه الله- قد كساه الله نورا وبهاء، يسر من نظر إليه.

ومات الحافظ أبو حاتم الرازي في شعبان، سنة سبع وسبعين ومئتين.

وقيل: عاش ثلاثا وثمانين سنة.

عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم:

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: « أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم:

١- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

٢- والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته.

٣- والقدر خيره وشره من الله عز وجل.

٤- وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

٥- وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ وقوله الحق، والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ والكف عما شجر بينهم.

٦- وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علما، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (سورة: الشورى آية رقم: ١١).

٧- وأنه تبارك وتعالى يرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء.

٨- والجنة حق والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا، والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله عز وجل.

٩- والصراط حق.

١٠- والميزان حق، له كفتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق.

١١- والحوض المكرم به نبينا حق.

١٢- والشفاعة حق.

١٣- والبعث من بعد الموت حق.

١٤- وأهل الكبائر في مشيئة الله عز وجل.

١٥- ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل.

١٦- ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

١٧- ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة.

١٨- ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

١٩- وأن الجهاد ماض منذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء.



كان أبو حاتم رحمه الله عالمًا باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومن بعدهم وقد ظهر عليه نور هذا العلم، حتى قيل عنه: كان رحمه الله قد كساه الله نوراً وبهاءً يَسّر مَن نظر إليه.



والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

٢٠- والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، ولا ندري ما هم عند الله عز وجل.

فمن قال: إنه مؤمن حق (أي حق الإيمان كاملة) فهو مبتدع، ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين، ومن قال: هو مؤمن بالله حقا (أي غير كافر) فهو مصيب.

٢١- والمرجئة المبتدعة ضلال.

٢٢- والقدرية المبتدعة ضلال.

فمن أنكر منهم أن الله عز وجل يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر.

وأن الجهمية كفار.

٢٣- وأن الرافضة رفضوا الإسلام.

٢٤- والخوارج مراق.

٢٥- ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر.

ومن شك في كلام الله عز وجل فوقف شاكا فيه يقول: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق فهو جهمي

ومن وقف في القرآن جاهلا علم وبدع ولم يكفر.

ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

قال أبو محمد: وسمعت أبي يقول:

٢٦- وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة.

وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

٢٧- قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار.

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدا.

قال أبو محمد: « وبه أقول أنا ».

وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: « وبه أقول ».

قال ابن المظفر: « وبه أقول ».

وقال يعني المصنف: « وبه أقول ».

وقال الطريثيثي: « وبه أقول ».

وقال السلفي: « وبه نقول »

وفقنا الله وكل مؤمن لما يحب ويرضى من القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



من مذهب أهل السنة والجماعة والتي كان عليها الإمامان الرازيان أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.





الحمد لله ذى الجلال والإكرام، والعزة الذى لا يُرام، أحمد ربى وأشكره على آلائه العظام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ﷺ وآله وصحابته الغر الميامين وبعد :

فخامة الرئيس حفظه الله ورعاه ؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بداية أرجو أن يتسع صدركم لخطابى هذا، بصفتكم حاكماً لمصر المسلمة ، والتى يستمد دستورها من الشريعة الإسلامية، ونحن نعلم أن الدِّين بالسلطان يقوى، والسلطان بالدين يبقى، والصلاح للجميع فى الدارين يتحقق بتعاون الحاكم والمحكوم على البر والتقوى، نذكر بقول بعض الحكماء: «السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والركن الذى عليه مدار الدين والدنيا، وهو حمى الله فى البلاد، وبه يرتدع المجرم، وينتصر المظلوم، ويأمن الخائف».

يقول شيخ الإسلام ـ فى السياسة الشرعية، رحمه الله : «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلاَّ بها؛ فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلاَّ بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ لهم عند الاجتماع من رأس». إلى أن قال رحمه الله: «فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يُتَّقرب بها إلى الله جل وعلا، وإن انفرد السلطان عن الدِّين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس».

فالتمسك بالبيعة الشرعية لولى الأمر، والثبات عليها واجب شرعى ومطلب دينى، يقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه مخبراً عن منهج أهل التوحيد، منهج صحابة رسول الله ﷺ : «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأثرة علينا» متفق عليه.

وإن مما يرفع الله به الدرجات، ويحقق به الخير والإصلاح الإكثار من الدعاء لولى الأمر بكل خير بالحماية، والرعاية والصلاح والتوفيق والسداد، والإعانة والرشاد، ونحن نذكر فى هذا المقام قول القاضى عياض : «لو أعلم أن لى دعوة مُسْتجابة لجعلتها للإمام».

وإن أعظم واجب على الحاكم والمحكوم تحقيق تقوى الله فى كل أمر خاص أو عام، ومراقبته فى كل شأن، فواجب على الحاكم والمحكوم التناصح وفق القاعدة الشرعية والآداب المرعية للنصيحة، ومن أعظم النصيحة للإمام الصدق معه ظاهراً وباطناً، وبذل كل الجهود الخيِّرة فيما يعين الإمام على دينه ودنياه، وفيما يحقق الصالح العام، خاصة ممن ولاَّه ولى الأمر مسئولية ما، أو استرعاه على شىء من مصالح رعيته فندعو الله سبحانه أن يهيىء الولاة الصادقين، والوزراء الناصحين، والرعيَّة المطيعين. «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم».

وفى الصحيحين أيضاً عن جُنَادة بن أبى أميَّة أنه قال : «دَخلنا على عُبَادة بن الصامت وهو مريض وقلنا : أصلَحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبى ﷺ فقال رضى الله عنه : دعانا النبى ﷺ فبايعنا، فكان فيما أَخَذَ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ويسرنا وعُسْرنا وأثرةٍ علينا، وأن لا نُنَازع الأمر أهله إلاَّ أن تروا كُفْراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان». البخارى ومسلم.

فخامة الرئيس :

إن الأمانة التى يتحملها الحاكم حملٌ ثقيل وواجب كبير، وأمرٌ خطير عُرض على الكون سمائه وأرضه وجباله، فوجلت من حمله وأبت خوفاً من عذاب الله تعالى، وعُرضت هذه الأمانة على آدم عليه السلام فحملها واستقلَّ بها، قال ابن عباس رضى الله عنهما : «الأمانة : الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض، إن أدَّوها أثابهم، وإن ضيّعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا منه من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله تعالى» أخرجه ابن جرير ٢٢/٥٤ . وابن كثير (٣/٥٢٣).

وقد وعد الله على أداء الأمانات والقيام بحقوقها أعظم الثواب فقال تعالى : «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» «المؤمنون ٨ - ١١».

إن مسئوليتكم عظيمة أمام الله عز وجل فإن لهذه الشريعة الغراء أعداءً الدَّاءَ، لا يألون إقداماً، ولا ينكسون إحجاماً، ولا يعرفون إنهزاماً فى محاربة دين الله، بزعزعة ثوابته وخلخلة قواعده، والتشكيك فى مسلّماته، عقدٌ لألوية البدعة، وإطلاق لعنان الفتنة، ومضادّة للشريعة، بطرق الخداع والمكر والتأوّل، والدجل والكذب والتحيُّل، ولبس الحق بالباطل بأقوال مزخرفة، وألفاظ خادعة، تبريراً للانحراف، وتقريراً للتهاوى والانجراف، يتولى كبر هذا الجرم العظيم منافقون معاندون، يظهرون ما لا يُبْطِنون، ويفسدون فى الأرض ولا يصلحون. فالدفاع عن هذه الشريعة، وردٌ حِيَل المحتالين وشبه المفترين، وتعرية طُرق المفسدين، والقيام بواجب الإعذار والإنذار، والحسبة والإنكار، والتبليغ والبيان، والإيضاح وعدم الكتمان واجبٌ معظم، وفرضٌ محتّم على جميع المسلمين.

يقول ابن القيم رحمه الله: «حُكْم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة: لسان الراوى، ولسان المفتي، ولسان الحاكم، ولسان الشاهد».

فخامة الرئيس :

على أرض مصر المسلمة يُسَبُّ صحابة رسول الله ﷺ، ويُسبُّ الرسول ﷺ ، وقد قامت قائمة المسلمين عندما نشرت بعض الصحف فى دول غربية لا تدين بالإسلام رسوماً كاريكاتورية تسيئ إلى النبى ﷺ . أما أن يسب صحابة رسول الله ﷺ فى مصر فهذا أمر منكر، ومع ذلك لم يتحرك أحد وقد نشرت صحيفتان إحداهما مستقلة شهيرة والأخرى خاصة غير معروفة «حيث نشرت الأولى موضوعاً عن الإمام البخارى عرضت فيه كتاباً بعنوان إنقاذ الدين من إمام المحدثين لكاتب سورى، وحمل الكتاب نقداً لاذعاً لما جاء فى صحيح البخارى واعتبر ما جاء فيه جناية على سنَّة الرسول ﷺ .. وإساءات بالغة للرسول ﷺ وثوابت الدين فقال - فُضَّ فوه ولا وفقه الله - : «الرسول يبارك اغتيال معارضيه ويجامل أقاربه على حساب أصحابه». «الرسول يظهر فى أحاديث البخارى محرضاً على القتل ولم يكتف بتطبيق القصاص بل طبق حد الحرابة دون وجه حق..» «لو أن أحد خصوم الرسول على مر التاريخ أراد أن يشوه صورة الرسول والإساءة إليه لما استطاع أن يفعل مثلما فعل البخارى ...». «الرسول قال لحسان اهجهم وجبريل معك ... فهل كان معه عندما قال بالإفك على السيدة عائشة، كما نشرت الصحيفة فى عدد آخر كتاباً يحمل هجوماً واسعاً على أبى هريرة تحت عنوان «أبو هريرة راوى الأكاذيب».. وعنوان آخر «التاريخ السرى لأشهر ثلاثة من رواة الأحاديث النبوية». وقد صور الكاتب أبا هريرة بأنه انتهازى كاذب

أن يُسب الصحابة رضى الله عنهم فى أوساط المارقين من الشيعة فهذا أمر غير مستغرب، بل هو إفك قديم عرفناه، ودين للقوم عهدناه، أما أن يحدث هذا فى مصر بلد السنة فهذا قمة المأساة

في حديثه عن رسول الله ﷺ . ووضع الأحاديث للأمويين قد جاء الكاتب بمقالته عن أبي هريرة وما جاء بها من أفكار على إنها من اكتشافه وإجتهاده ودراسته وكأنه قد عرف ما جهله علماء الإسلام منذ الصحابة مروراً بأصحاب المذاهب الأربعة والأقذام عندما يتطاولون على العمالقة مثلهم كمثل من يضرب الجبل برأسه فلن ينال منه شيئاً وهم يعلمون ذلك كما قال تعالى: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً».

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

نقول : ما ذنب البخارى، بل ما ذنب الصحابة، ما ذنب النصوص إذا مرت على الجهلة فلم يفهموها أو فهموها فهما سقيما بعقول مريضة، فهل ترد النصوص لعدم قبول العقول غير المستقيمة لها؟ أن علماء الإسلام منذ عصوره الأولى مرت بهم هذه النصوص فعلموها، وعلموها أبناء المسلمين فبقيت فينا حتى الآن فجاء هؤلاء المكتشفون ليكشفو لنا عن وجوههم القبيحة وعقولهم السفيهه.

فخامة الرئيس:

إن الصحابة رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء، وقدوة المؤمنين وأسوة المسلمين وخير عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين، جمعوا بين العلم بما جاء به رسول الله ﷺ وبين الجهاد بين يديه، شرفهم الله بمشاهدة خاتم أنبيائه وصحبته في السراء والضراء وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله حتى صاروا خيرة الخيرة وأفضل القرون بشهادة المعصوم ﷺ . هم خير الأمم سابقهم ولاحقهم، أولهم وآخرهم. هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام وشادوا قصور الدين، قطعوا حبائل الشرك، أوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمورة، فاتسعت رقعة الإسلام، وطبقت الأرض شرائع الإيمان، فهم أدق الناس فهماً وأغزرهم علما وأصدقهم إيماناً وأحسنهم عملاً. كيف لا؟! وقد تربوا على يدى النبي ﷺ ونهلوا من معينه الصافي وشاهدوا التنزيل، روى أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه» (أخرجه أحمد والبزار والطيالسي).

وعن فضائل الصحابة رضي الله عنهم قوله عز وجل: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» (التوبة ١٠٠). وقال عزوجل: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً» (الفتح ١٨ - ١٩). وفيهم يقول رسول الله ﷺ : «لايدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة» (أحمد وأبو داود والترمذي).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه» (أخرجه البخاري ومسلم).

فخامة الرئيس:

إذا كان هؤلاء هم الصحابة، وهذا هو شأنهم الذي أخبر به عنهم رب العزة في كتابه والرسول الكريم في سنته المطهرة المشرفة.. فكيف يسمح بأن يتطاول عليهم من شرذمة لا يألون في صحابة رسول الله إلاً ولا ذمة،

يا له من شرف يناله حاكم مصر عندما يسجل له التاريخ في صفحاته بأحرف من نور أنه سن قانوناً يدافع به عن حرمات الإسلام ويردع به المفسدين في الأرض

وعلى أرض مصر المسلمة وهانحن بالأمس القريب قد شاهدنا من خلال الفضائيات، وأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقرءوة محاكمة. حكم فيها بالحبس ثلاث سنوات على محام معروف لأنه تهكم على هيئة المحكمة مما اعتبر بنص القانون سباً وقذفاً. عندما قال للقاضي: «حسبى الله ونعم الوكيل فيك».

فخامة الرئيس:

إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. فنصوص الشرع تدل دلالة واضحة صريحة وجلية على النهى عن سبِّ الصحابة وتبين أن من يَسُبُّ الصحابة فإنه يَسُبُّ الله ورسوله.

لذا فخامة الرئيس فإننا نستأذنكم بوصفكم حاكماً لمصر المسلمة أكبر دولة عربية إسلامية والتى يستمد دستورها أحكامه من الشريعة الإسلامية أن تصدروا أوامركم الكريمة إلى أهل الاختصاص فى سن القوانين والتشريعات بسنِّ قانون يعاقب المعتدين على الله ورسوله، والصحابة والتابعين. والضرب بيد من حديد على أيدى هؤلاء العابثين والمتطاولين، والذين ينتسبون للإسلام. فهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

وإذا كان من تطاول على قاض فى محكمة قد نال جزاءه، فما بالكم بمن يتطاول على المولى سبحانه، وعلى رسول الله ﷺ وعلى الصحابة والتابعين، فما تزال الأقلام المارقة والتى دأبت على النيل من صحابة رسول الله ﷺ تنتهك كل مقدس، وتستبيح كل محرم، فبعد إهانة ومحاولة إثبات عدم مصداقية صحيح البخارى أصح كتب السنَّة، ومهاجمة الصحابى خالد بن الوليد فى صحيفة مغمورة، والبدء فى مهاجمة راوى أحاديث رسول الله ﷺ «أبى هريرة» رضى الله عنه وأرضاه باستخدام نفاية من نفايات كتب التاريخ بنشر كتاب لكاتب مشبوه التوجه «يدعى محمود أبو رية» فإلى متى يستمر هذا الكذب وهذا الافتراء على الله ورسوله وصحابته والتابعين لهم من أئمة الحديث ونقلته؟!!

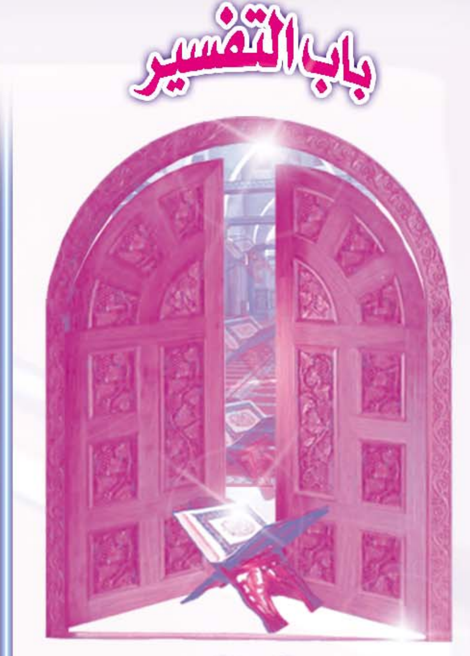
فخامة الرئيس:

سيكتب الله لكم الأجر العظيم بإصداركم قانوناً يُحَرِّمُ وَيُجرِّمُ التطاول على حرمات الإسلام والمسلمين، وسيسجل التاريخ بأحرف من نور، فى سجل الخالدين دفاعاً عن حرمات الإسلام وتعظيماً لشعائره وفقكم الله تعالى لما فيه خير البلاد والعباد.

اللهم إنا نشهدك على حبّك وحب نبيّك محمد ﷺ، ونشهدك على أنه أحبُّ إلينا من أنفسنا ومن أهلينا ووالدينا وأموالنا وذرياتنا كما نشهدك يا ربنا على حب أصحاب نبيك ﷺ ورضى عنهم. فاللهم إنَّا نبرأ إليك مما فعل الشانئون بجناب نبيك وصفيّك ﷺ اللهم إنهم قد آذونا فى نبينا وحبيبنا وقدوتنا وأسوتنا عليه الصلاة والسلام كما آذونا فى أصحاب نبينا ﷺ ورضى عنهم وهم قدوتنا وفضلهم علينا بعد فضل الله عز وجل، بأنهم هم الذين حفظ الله بهم الدين فهم حملته ونقلته حتى وصل إلينا محفوظاً من التحريف والتبديل والتغيير فاللهم إن كان فى سابق علمك أن هؤلاء المتطاولين لا يهتدون ولا يرعوون فاكف المسلمين شرورهم، وانتقم لهم منهم ياجبار ياعزيز. فاللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ. اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحبه وترضاه. وصل اللهم على محمد وعلى آله وسلم أجمعين.

حكمت المحكمة مؤخراً على محامٍ بالحبس ثلاث سنوات لأنه أهان هيئة المحكمة تلميحاً لا تصريحاً، وفى نفس الوقت تعرض الصحابة الكرام لحملة سب شعواء فى بلادنا ولم يتحرك أحد فأى الفريقين أحق بالحماية والاحترام إن كنتم مؤمنين





إعداد

د/ عبد العظيم بدوي



يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ١٧- ٤٢].

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ المرادُ بالإنسان هنا الكافر، بدليل تعجب الله سبحانه من كفرِ هذا الإنسان: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ أي: ما أعظم كفره! أو ما أكثر كفره! في حين أنّ دلائل الإيمان ماثلةٌ أمام عينيه، لا تخفى على مَن كان له أدنى نصيب من نور البصيرة، وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ﴾ دعاءٌ عليه بالموتِ والهلاك، ودعاءُ الله قضاء محكم، وأمر مُبرم.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ تنبيهٌ للإنسان الكافرِ على أصل نشأته، الذي هو دليلٌ واضحٌ على وجود خالقه، واستحقاقه للعبادة، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾، وهذه الآياتُ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤]، أفلا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟! ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ اختلف العلماء في المراد بالسبيل، فقال بعضهم: السبيل هنا هو طريقُ خُروجِه من بطنِ أُمّه إلى هذه الدنيا، فتأمّل كيف يكونُ الجنينُ في بطن أمه قاعدًا رَأْسُه إلى أعلى، فإذا جاء وقت خروجه انقلب على رأسه فكان إلى أسفل، حتى يخرج به، وتأمل كيف يتسع هذا المكان الضيق حتى يسمح بخروج

مثل هذا الرأس منه، ولولا أنّ الله يسّره ما تيسّر.

وقال بعضُ العلماء: المراد بالسّبيل هنا طريق الخير وطريق الشّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي بينا له الطريقين: طريق الخير وطريق الشر.

وكلا القولين مقبول، وكلاهما مراد، لأنّ الله تعالى عمّ ولم يخصّص.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقد أكرم اللهُ الإنسان «فأقبره» بعد موته، وجعل دَفْنَه فَرْضًا على الأحياء، ولم يشأ الله سبحانه أن يجعل الإنسان بعد موته كسائر الميتات تُلْقَى على القمائم ونحوها فتأكلها السباع، وهذا مِنْ إكرام الله تعالى للإنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: بعثه بعد موته، والبعث والنشور واحد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ فيه للعلماء قولان:

الأوّل: أنّ الإنسان لم يقم بما أمره الله به حقّ القيام، بل هو مقصر أبدًا، وتقصير العاصي ظاهر، أما المطيع فإنّه مهما اجتهد في الطاعة فهو مقصرٌ، لأن حقّ الله عظيم، وقد أعلم اللهُ عباده بذلك فقال في آخر سورة المزمل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [المزمل: ٢٠]، فإنكم مقصرون وإنْ أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأقرضتم الله قرضًا حسنًا، وقرأتم القرآن، فإنكم مقصرون، فاستغفروا الله.

بل أصرحُ من ذلك أنّ الله تعالى جمع بين الأمر بالاستقامة والأمر بالاستغفار، فقال: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

والقول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ متعلّق بما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ والمعنى: أنه لم يتمّ بعدُ ما سبق به قضاءُ الله مما أمر أن يكون، فلذلك لا ينشر الناس ولا يبعثهم ولم يقض ما أمره، بل يؤخّر بعثهم حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، ويومها يتحقق وَعْدُ الله بالبعث والنشور.

قال العلماء: في هذه الآيات إشارةٌ إلى الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان الثانية، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، وقد سبق بيان ذلك قريبًا، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أي ليتأمل فيه كلما قُدم له، ولينظر في الخطوات التي قطعها خطوةً خطوةً حتى وصل إليه في هذه الحال التي هو عليها بين يديه، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أي: أنزلناه من السماء على الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾، فشقّ الماءُ الأرض وتخلّل تربتها، فنبت الحبُّ والمودعُ فيها وارتفع حتى شقّ الأرض وظهر عليها، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ والحبّ والعنبُ معروفان، أما القضبُ فهو النباتُ الذي يؤكلُ رطبًا غضًا، ويُقْطعُ مرةً بعد أخرى، وجذوره في الأرض، كلما قُطعَ عاد، وهكذا، وقوله تعالى: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أي: كثيرةَ الأشجار، قد التفّ شجرها بعضُه على بعض، ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ والأبُّ: هو ما يخصّ البهائم مما ينبت في الأرض، ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾: الصاخة هي صيحة يوم القيامة، هي النفخة التي ينفخها إسرافيل عليه السلام، سُميت كذلك لأنها تَصُخُّ الآذان من شدّتها، وتحدُثُ بسببها أهوالٌ عظام تجعلُ الإنسانَ ينشغل بنفسه عن أقرب الناس منه، وأحبّهم إليه، ولذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ قال العلماء: بدأ الله سبحانه بذكر الحبيب ثم الأحبّ، فالأخُ حبيب، لكنّ الأبوين أحبّ، والزوجة أحبّ منهما، وأحبّ منها البنون، فإذا فرّ الإنسان من بنيه وهم أحبّ شيء إلى نفسه فلن يسأل عن غيرهم، لأنه قد أتاه ما يَشْغَلُه بنفسه عن كل شيء، ولذا قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حتى إنّ الإنسان لينشغل بنفسه عن رؤية من حوله، ولذا لما قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ الناس يومَ القيامة حفاةً عراةً غرلاً». قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة، الأمرُ أشدّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض». ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

الله أكبر! ما أشدّ هول هذا اليوم! أيّ هولٍ هذا الذي يعمي الإنسان حتى لا يرى مَنْ حوله ولا يعرفهم! نسأل الله السلامة والعافية.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي أنّ النّاس في هذا الموقف يكونون قسمين: وجوهٌ مسفرةٌ أي: مستنيرة، ضاحكة مستبشرة أي مسرورة فرحة، ووجوهٌ مسودة عليها غبرة ترهقُها قترة، عياذًا بالله.

وهذه الآيات كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٢-١٠].

نسأل الله أن يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم.





مناقب الزبير بن العوام حواري النبي



إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يَأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبيرُ: أنا، ثم قال: «مَنْ يَأتينَا بخبر القوم؟» فَقَالَ الزُّبيرُ: أنَا، ثم قال: «مَنْ يَأتينا بخبر القَوم؟» فقال الزبيرُ: أنا، قال: «إنَّ لِكلّ نبيّ حَواريًا، وحَوَارِيَّ الزُّبَيرُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه ؛ أولها في كتاب الجهاد والسير باب فضل الطليعة برقم (٢٨٤٦)، وباب هل يبعث الطليعة وحده برقم (٢٨٤٧)، وثانيها في كتاب الجهاد والسير باب السير وحده برقم (٢٩٩٧)، وثالثهما في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب الزبير بن العوام برقم (٣٧١٩)، ورابعها في كتاب المغازي باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب برقم (٤١١٣)، وخامسها في كتاب أخبار الآحاد باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده برقم (٧٢٦١).

وكذا أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٥).

وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه برقم (٣٧٤٥).

وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب السنة باب فضل الزبير رضي الله عنه برقم (١٢٢)، كما عزاه الإمام المزي في الأطراف إلى الإمام النسائي في الكبرى في المناقب والسير.

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠٧/٣، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥).

أولاً: ترجمة الزبير رضي الله عنه

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد





العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأسدي، كنيته أبو عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، وابن أخي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين وزوج رسول رب العالمين، قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: كانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب، واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه الأكبر فغلبت عليه.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة. قاله هشام بن عروة. وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة. رواه أبو الأسود عن عروة، وروى هشام بن عروة عن أبيه: أن الزبير أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: أسلم وهو ابن ثماني سنين، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير، وكان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة، فلما قدم المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: لم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ. وكان الزبير أول من سل سيفًا في سبيل الله عز وجل. وروى عن سعيد بن المسيب قال: ودعا رسول الله ﷺ بخير، والله لا يضيع دعاءه. وروى أيضًا بسند الزبير بن بكار إلى عروة: أن أول رجل سل سيفه في سبيل الله الزبير، ذلك أنه نفخت نفخة من الشيطان أُخذ رسول الله، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فقال النبي ﷺ: «ما لك يا زبير؟» قال: أخبرت أنك أخذت، فصلى عليه النبي ﷺ ودعا له ولسيفه.

مدحه حسان بن ثابت مفضلاً إياه على الجميع فقال:

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبي وَهَدْيِهِ
جَوَارِيُّهُ والقَوْلُ بالفَعلِ يُعْدَلَ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِه وطريقه
فوالي وليّ الحقّ والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول إذا مَا كان يَوْمُ مُحَجّلُ
وإن امرأ كانت صفية أمه
ومِن أسد في بيته لمرٌ فَلُّ
له من رسول الله قربى قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذَبَّ الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطي ويجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سباق إلى الموت يُرقل
فما مثله فيهم، لا كان قبله
وليس بكون الدهر ما دام يذبل

وقال ابن الأثير قبل روايته هذه الأبيات: قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدق بذلك كله، وكذا قال ابن عبد البر، وزاد: وفضله حسَّان على جميعهم، كما فضل أبو هريرة على الصحابة أجمعين جعفرَ بن أبي طالب.

وقال أيضًا: سمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال له: إن كنت ابن الزبير وإلا فلا.

قال ابن الأثير: وشهد الزبير بدرًا - وكان عليه عمامة صفراء معتجرًا بها - فيقال: إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير، أي على صفته، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أحدًا والخندق والحديبية وخيبر والفتح وحنينًا والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر رضي الله عنه في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قال ابن عبد البر: ثم شهد الزبير رضي الله عنه الجمل، فقاتل فيه ساعة، فناداه عليّ رضي الله عنه، وانفرد به، فذكّر الزبير أن النبي ﷺ قال له - وقد وجدهما يضحكان-: «أما إنك ستقاتل عليًا وأنت له ظالم». فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال، فاتبعه ابن جرموز عبد الله فقتله.

أتى قاتل الزبير عليًا برأسه يستأذن عليه فلم يأذن له، وقال للآذن: بشره بالنار، فقال:

أتيت عليًا برأس الزبير
أرجو لديه به الزلفة
فبشر بالنار إذ جئته
فبئس البشارة والتحفة





وسيان عندي قتل الزبير
وضرطه عير بذي الجحفة

وكانت سن الزبير يوم قُتل - رضي الله عنه ورحمه - سبعًا وستين سنة، وقيل: ستًا وستين، وكان الزبير أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية، رضي الله عنه وأرضاه.

ثانيًا: شرح الحديث

قوله: «من يأتينا بخبر القوم» يوم الأحزاب، قال الحافظ في الفتح: في رواية وهب بن كيسان عن جابر عند النسائي: «لما اشتد الأمر يوم بني قريظة قال رسول الله ﷺ: «من يأتينا بخبرهم» الحديث، وفيه أن الزبير توجه إلى ذلك ثلاث مرات، ومنه يظهر المراد بالقوم في رواية ابن المنكدر، وأنهم بنو قريظة، لأن الأحزاب من قريش وغيرهم لما جاءوا إلى المدينة، وحفر النبي ﷺ الخندق بلغ المسلمين أن بني قريظة من اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا على حرب المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك يريد أن يعرف حقيقة موقف يهود بني قريظة».

قوله: «إن لكل نبي حواريًا، وحَوَاريّ الزبير». أي خاصتي من أصحابي وناصري، وأمَّا ضبط حَوَاريَّ فقال الإمام النووي في شرح مسلم: اختلف في ضبطه، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء كمُصْرِخيَّ، وضبطه أكثرهم بكسرها.

ثالثًا: من فوائد الحديث

قال الحافظ في الفتح: في الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد، وفيه منقبة للزبير، وقوة قلبه، وصحة يقينه، وفيه جواز سفر الرجل وحده، وأن النهي عن السفر وحده إنما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك، قال: واستدل به بعض المالكية على أن طليعة اللصوص المحاربين يقتل وإن كان لم يباشر قتلاً ولا سلبًا، قال: وأخذه من هذا الحديث تكلف. والله أعلم.

رابعًا: بعض ما ورد من مناقب الزبير رضي الله عنه

أ- الزبير من الذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح:

عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير». أخرجه البخاري ومسلم.

ب- شجاعة الزبير رضي الله عنه:

عن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك ؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً.

جـ- الرسول ﷺ يُفَدّي الزبير بأبويه:

١- عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني ؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي». متفق عليه.

٢- عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد. أخرجه أحمد في المسند. أي قال: ارم فداك أبي وأمي.

د- حسن توكل الزبير على ربه وشدة يقينه:

عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني، أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بني، بع ما لنا فاقضِ ديني، وأوصى بالثلث - وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير - بقول ثلث الثلث - قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بنيّ إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك ؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربة من دَيْنه إلا قلت: يا مولى الزبير اقْضِ عنه دينه، فيقضيه.. الحديث. [أخرجه البخاري في



كتاب فرض الخمس باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي ﷺ وولاة الأمر].

هـ- ثناء عثمان رضي الله عنه على الزبير:

عن عروة قال: أخبرني مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان رضي الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رج من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه ؟ قال: نعم، قال: ومن؟ فسكت، فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث - فقال: استخلف. قال عثمان: وقالوا: فقال: نعم. قال: ومن هو ؟ فسكت. قال: فلعلهم قالوا: الزبير ؟ قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري.

و- نزول الملائكة على سيمائه (هيئته) يوم بدر:

قال الإمام الذهبي في السير: قال هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير. قال محقق السير: نسبة الهيثمي في المجمع إلى الطبراني، وقال: هو مرسل صحيح.

وقال: عن أبي جعفر الباقر رحمه الله، قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزلت الملائكة كذلك.

وقال: وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدِّي ابن عمة أحمد ووزيره
عند البلاءِ وفارسُ الشقَّراء

وغداة بدر كان أول فارس
شهد الوغى في اللأمة الصفراء

نزلت بسيماه الملائك نصرة
بالحَوْض يوم تألب الأعداء

ز- الزبير يشهد له النبي ﷺ بالشهادة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء، فتحرك، فقال: «اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». وكان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. [أخرجه مسلم].

ح- الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنة:

١- عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر». [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه].

٢- وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». [أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن أبي عاصم في السنة].

ط- الزبير ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ:

عن عمرو بن ميمون قال في حديثه عن قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه قال: لما طعن عمر رضي الله عنه، قالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن. [أخرجه البخاري ومسلم].

هذا قليل من كثير مما ورد في مناقب الزبير، بالإضافة إلى ما ورد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ولا شك أنهم أول من خوطب بهذه الآية، فهم على ذلك خير أمة أُخرجت للناس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. وكذلك هم أول من خوطب بهذه الآية، فهم الأمة الوسط التي تشهد على الأمم، وقال الله تعالى فيهم أيضًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾، فأصحاب محمد ﷺ مذكورون في التوراة والإنجيل قبل نزول القرآن، ومن قبل أن يخلقوا، فأي فضل هذا ؟ ومَن من البشر نال هذا الفضل غير هؤلاء الصحب الكرام، نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة أصحاب نبينا وتحت لوائه، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.



اختراق السنن الإلهية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن لله سننًا كونية، وهي بمثابة القوانين الحاكمة للكون والحياة، ومعاملة الله المكلفين من الناس بناءً على أفعالهم وسلوكهم من شرع الله وأثر ذلك في الدنيا والآخرة.

وهذه السنن سار عليها كل ما في الكون وامتثل لها، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

فلو نظرنا إلى بيوت النحل لوجدناها في المواضع التي حددها لها الله عز وجل ولم يحدث في يوم من الأيام أنها غُيرت أو بُدلت، وكذلك الجمادات تسير في نطاق السنن الكونية، قال تعالى: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، إذن فالكون دائر في فلك الامتثال والطاعة، ولم نجد اختراقًا لهذه القوانين إلا من بني البشر، فمن القوانين الإلهية (خلْق زوجين من كل شيء)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. والحياة لا يمكن أن تستقيم إلا على هذا الأساس.

قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [تبارك: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣]، حتى الطاقات لا تتولد إلا من زوجين اثنين (شحنة موجبة، وشحنة سالبة)، وهذا هو النظام الذي وضعه الله - عز وجل - لكونه، وبه سارت الحياة إلى وقتنا هذا وإلى يوم القيامة - إن شاء الله - ولكن أعداء الإسلام - بمعاونة المنافقين - يريدون اختراق هذه القوانين الإلهية، وكل ذلك من أجل إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي، تحت مسمى الحرية الشخصية، فعقدوا المؤتمرات ووظفوا الإعلام المسموع والمقروء في اختراق هذه السنن، فنادوا بالزواج المثلي بين نوع واحد، ذكر وذكر (لواط)، وأنثى وأنثى (سحاق)، وبدأت المؤامرة بتحرير المرأة، وحقوق المرأة، والحرية، وكل ذلك من أجل أن يميل الناس ميلاً عظيمًا عن دينهم، بصرف شهواتهم في الحرام، وهذا ما بينه الله عز وجل في كتابه: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ووسموا من يحافظ على تعاليم دينه بأنه رجعي ومتخلف، فهم يحاربون العفة والطهارة، وذلك كما حكى القرآن عنهم: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، فالمؤتمرات التي تعقد ليس من أجل مواجهة الفاحشة، بل من أجل عولمة الفاحشة، وجَعْلِها منتشرة، لها مسوغاتها، فهم يزعمون تثقيف الناس جنسيًا، ولكي يحدث ذلك لابد من الممارسة العملية، من خلال مناهج يدرسها أطفالنا في المدارس، وقد حدث ذلك في تنزانيا بين أبناء الست السنين، يُدرِّس لهم المعلم (القدوة) الجنس عمليًا وعلى أعضاء الذكر والأنثى، بلا حياء، وكل ذلك باسم الحرية، فهي ليست مواجهة للفاحشة، بل عولمة انتشار الفاحشة بين المجتمعات الإسلامية، فالمواجهة الحقيقية للفاحشة نجدها في شرع الله عز وجل، فعندما يتحدث القرآن عن مثل هذه الأمور الحساسة، التي تخص الرجل والمرأة، ينتقي لها أرقى العبارات التي لا تثير الغرائز، ولا تخدش الحياء، قال تعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، فعبر عن الجماع باللمس، وعبر عنه النبي ﷺ بالالتقاء: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل»(١). وفي رواية: «إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل»(٢).

وعبر عن موضع الولد (بالحرث)، قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وعبر عن السائل الذي يخرج من الإنسان بالماء، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما الماء من الماء»(٣)، ثم أمر بصرف الشهوات والغرائز الجنسية في الزواج الشرعي بين نوعين مختلفين: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إعداد
خالد محمد راتب

فالسكن الحقيقي في الزواج الشرعي، وقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(٤). ثم أمر الرجل والمرأة بسد أبواب الفاحشة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وأمر بالتفريق بين الأبناء في موضع النوم، «وفرقوا بينهم في المضاجع» (٥)، وجعل الاستئذان مراعاةً لحرمة البيوت، فجعل آدابًا للإنسان مع ربه بالتقوى والإيمان، وآدابًا مع الناس، وآدابًا مع الطريق «أعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله، قال: غض البصر، ورد السلام، وإرشاد الضال» (٦).

إلى غير ذلك من الآداب الإسلامية التي بمثلها تستطيع - وحدها وليس شيء سواها- أن تواجه الفواحش بمنهج عملي مهذب، وذلك يستلزم منا أن نفقه حجم المكيدة التي تُدبر لنا من أعدائنا، ونفقه - جيدًا - أن الكتاب والسنة هما العاصمان للأمة من الزلل: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»(٧).

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتبعين للنبي الأمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- رواه أحمد والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٥٩/٣).
٢- رواه الطبراني عن أبي أمامة ورافع بن خديج رضي الله عنهما، وانظر صحيح الجامع رقم: ٤٧٥.
٣- رواه مسلم وأبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي أيوب رضي الله عنه.
٤- متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
٥- رواه أحمد وأبو داود، وقال الشيخ الألباني: حسن لغيره.
٦- متفق عليه.
٧- صحيح: انظر حديث رقم (٢٩٣٧) في صحيح الجامع.

عزاء واجب

تحتسب أنصار السنة المحمدية عند الله تعالى والد الأخ / عبد الله رجب من فرع أنصار السنة المحمدية بالمنصورة نسأل الله أن يغفر للمتوفى وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان

أسرة مجلة التوحيد

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالدهلية بأنه قد تم قيد جمعية أنصار السنة المحمدية بفرع ٤٩ الدرافيل مركز بلقاس برقم (١٤٧١) بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١١ طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

أهم أهم أهم عقائد الرافضة

إعداد

أ.د / علي السالوس

الحمد لله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد: ففي مقال سابق بينتُ الفرق بين الشيعة والرافضة، فالشيعة أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تختلف عقيدتهم عن عقيدة جمهور المسلمين، وهم يأخذون بما ثبت عن علي من أن خير الناس بعد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم - أبو بكر ثم عمر، ويؤمنون بأن الصحابة قد رضي الله عنهم ورضوا عنه كما أخبر ربنا عز وجل في كتابه العزيز.

وذكرتُ من الشيعة غير الرافضة الحاكم صاحب كتاب المستدرك، وذكرت بعض أموره في كتابه عن فضائل الشيخين على لسان علي رضي الله عنهم.

أما الرافضة فهم الذين أخذوا بأقوال عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بحب آل البيت، ونادى بفكرة الوصي بعد النبي، وكفر الصحابة لأنهم لم يأخذوا بهذه الفكرة، وبايعوا أبا بكر ثم عمر.

أهم عقائد الرافضة

وأحب هنا أن أبين أهم عقائد الرافضة حتى لا نخلط بينهم وبين شيعة أهل البيت.

أولاً: الإمامة أصل من أصول الإيمان، فهي كالنبوة، ومرتبة فوق النبوة:

شيعة علي بن أبي طالب يتفقون مع جمهور المسلمين في أصول العقيدة، وعلي رضي الله عنه هو نفسه لا يختلف مع باقي الصحابة في هذه العقيدة كما جاءت في كتاب ربنا عز وجل، وعلمهم إياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الرافضة فقد أخذوا بقول ابن سبأ ؛ فهو أول من قال بأن عليًا هو الوصي الذي يخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن لم يعتقد هذا فليس مؤمنًا، وأضاف الرافضة إلى قول ابن سبأ أحد عشر إمامًا بعد علي، يجب الإيمان بهم جميعًا.

ذكر الحلي - الملقب عند الرافضة بالعلامة - بأن إنكار الإمامة شر من إنكار النبوة ؛ حيث قال: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص». [انظر كتاب الألفين ٣/١].

وعقب أحد علمائهم على هذا بأنه «نعم ما قال»، وأضاف: وإلى هذا أشار الصادق بقوله عن منكر الإمامة هو شر الثلاثة، فعنه أنه قال: الناصبي شر من اليهودي. قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال: إن اليهودي منع لطف النبوة وهو لطف خاص، والناصبي منع لطف الإمامة وهو عام. [انظر حاشية ص٤٣ النافع يوم الحشر].

ويطلقون كلمة الناصبي على مخالفيهم، ويحكمون بكفره ونجاسته.

وفي مصباح الهداية «ص٦١- ٦٢» ذكر المؤلف أن الإمامة مرتبة فوق النبوة !

وقال ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق: «اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ».

[رسالته في الاعتقادات ص١٠٣].

وقال المفيد: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من

فرض الطاعة، فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار».
[بحار الأنوار للمجلسي ٢٣/٣٩٠، والمجلسي ذكر قول المفيد لتأييد رأيه].

والمفيد كان رأس الإمامية، وشيخًا لشيخ طائفتهم أبي جعفر الطوسي.

وعقيدتهم في هذه تفسر لنا ما يحدث في العراق؛ ففرق الموت من الرافضة ممن يسمى بجيش المهدي يقتلون من يستطيعون قتله من أهل السنة، بعد التعذيب، ثم يلقونهم في الطرقات حيث يعتبرونهم كفارًا.

وإلى جانب ضلال هؤلاء القوم وغلوهم نجد غلوهم في جانب آخر، فهم يرون أن الفاسق منهم يدخل الجنة وإن مات بلا توبة. [انظر أجوبة المسائل الدينية - العدد الثامن - المجلد التاسع - ص٢٢٦، وراجع كتابي: فقه الشيعة الإمامية ١/١٥].

ثانيًا: الإمام كالنبي في عصمته وصفاته وعلمه:

فالإمام يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن سن الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان!

ويجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل وعقل وحكمة وخلق.

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله.

وإذا استجد شيء فلابد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي، لا يخطئ فيه ولا يشتبه عليه، ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، وذهب بعضهم إلى أن أحد الملائكة كان يلازم الرسول ﷺ ليسدده ويرشده ويعلمه، فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ظل الملك بعده، ولم يصعد ليؤدي نفس وظيفته مع الأئمة بعد الرسول ﷺ.

(انظر أصول الكافي: باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة (١/٢٧١- ٢٧٢)، وباب الروح التي يسدد الله بها الأئمة (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وهذا الباب فيه ستة أخبار منها عن أبي عبد الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، قال: خَلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده.

الرافضة هم الذين أخذوا بأقوال ابن سبأ اليهودي الذي تظاهر بحب آل البيت وكفّر أصحاب النبي ﷺ لأنهم لم يأخذوا بفكرة الوصي بعد النبي ﷺ.

وفي الباب الأسبق ذكر أن روح القدس خاص بالأنبياء، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والإمام يرى به، وفي الحاشية فسر الرؤية بقوله: يعني ما غاب عنه في أقطار الأرض وما في عنان السماء، والجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرى، وانظر بحار الأنوار (٢٥/٤٧ - ٩٩) باب الأرواح التي فيها (أي في الأئمة) وأنهم مؤيدون بروح القدس.

وقال ابن بابويه القمي في رسالته (ص١٠٨ - ١٠٩): «اعتقادنا في الأخبار الصحيحة عن الأئمة أنها موافقة لكتاب الله، متفقة المعاني، غير مختلفة، لأنها مأخوذة من طريق الوحي عن الله سبحانه»، وهذا القمي صاحب كتاب «فقيه من لا يحضره الفقيه»: أحد كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الجعفرية.

وقال المجلسي: أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة، عمدًا وخطأً ونسيانًا، قبل النبوة والإمامة وبعدها، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى، ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد، فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام». [بحار الأنوار: ٢٥/٢٥٠، ٢٥١].

وقولهم بعصمة الأئمة من وقت ولادتهم يتنافى مع طبيعة البشر، ويجعلونهم فوق الأنبياء والرسل الكرام، بل إن الرسول الأعظم لولا النبوة بعد الأربعين ما عُرفت له عصمة، فكيف عُرفت من الصغر للأئمة بزعمهم؟!

وأما قولهم بأن الإمام «يرى ما غاب في أقطار

الأرض، وما في عنان السماء ؛ وبالجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرى»، هذا القول يعتبر شركًا بالله عز وجل، فهو وحده سبحانه الذي يعلم هذا.

ثالثًا: لا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الدارين وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم، وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة.

والأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وهم الشهداء على الناس، وأبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه، فأمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم، والانقياد لأمرهم، والأخذ بقولهم.

وقولهم بوجوب استمرار الإمامة أبدًا دون انقطاع أو توقف إلى يوم القيامة بعد الإمام الحسين - رضي الله عنه - في أحد من نسله، بحيث يكون الابن خلفًا للأب، هذا القول جعلهم يضطرون إلى تنصيب طفل صغير في السابعة من عمره، وهو الإمام محمد الجواد الإمام التاسع، ولذلك وجدنا فرقتين من شيعة أبيه علي الرضا لم يعترفوا بإمامته لأنهم استصبوه واستصغروه.

وفي كتاب فرق الشيعة (ص٩٢) للنوبختي والقمي الشيعيين جاء بيان هذا حيث قالا: «إن أبا الحسن الرضا - عليه السلام توفي وابنه محمد ابن سبع سنين، فاستصبوه واستصغروه، وقالوا: لا يجوز أن يكون الإمام إلا بالغًا، ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ لجاز أن يكلف الله غير بالغ، فإنه كما لا يعقل أن يحتمل التكاليف غير بالغ فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس دقيقه وجليله وغامض الأحكام وشرائع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله، وما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها، طفل غير بالغ، ولو جاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن البلوغ درجة، لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثًا وأربعًا، راجعًا إلى الطفولة، حتى يجوز أن يفهم ذلك طفل في المهد والخِرءَ غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف». اهـ.

وكذلك اعتبروا ابنه عليًا الهادي إمامًا وهو في السادسة من عمره، وعلى قول آخر في الثامنة، أي أنه كسابقه في سن الطفولة !

وأعجب من هذا كله قولهم بعد إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري فقد توفي ولم ير له خلف، أخوه جعفر وأمه، فافترق أصحابه من بعده أكثر من عشر فرق، فاخترع الاثنا عشرية له ابنا طفلاً إمامًا حيًا لا يموت إلى يوم القيامة ! وهو غائب يحج كل عام يرانا ولا نراه!!

قال الشيعة بعصمة الأئمة، ومن جحد إمامتهم كفر بالله، ويقولون: إن الأئمة معصومون منذ ولاداتهم حتى يلقوا الله تعالى! والصواب أن العصمة للأنبياء.

ومن يراجع كتب الفرق يجد ظاهرة عامة وهي افتراق الشيعة إلى فرق مختلفة عند موت كل إمام، وكل فرقة من هذه الفرق يمكن أن تفترق هي الأخرى إلى عدة فرق، ونجد من هذه الفرق من بلغت درجة تأليه بعض البشر، والشرك بالله - عز وجل - ومن ادعت نبوة فرد من أفرادها، ومن استباحت اللواط ونكاح المحارم، وقالت: من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه.

والمهم أن كل فرقة من هذه الفرق الضالة تزعم أنها هي الفرقة الناجية، وأنها تمثل مذهب أهل البيت، وأهل البيت الأطهار الأبرار برآء منهم جميعًا.

وإن تعجب فعجب قول كل فرقة أنها مؤيدة بالكتاب العزيز، والسنة المطهرة !! ومن أجل ذلك حرفت القرآن الكريم تنزيلاً وتأويلاً، نصًا ومعنى، ووضعت الآلاف من الأحاديث المفتراة، وقد بينت هذا بالتفصيل في كتابي «مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع - موسوعة شاملة»، وأخيرًا في كتابي «المراجعات المفتراة على شيخ الأزهر البشري - الفرية الكبرى» ؛ حيث ناقشت الرافضي الغالي عبد الحسين شرف الدين، وأثبت أن ما جاء في كتابه «المراجعات» هو محض افتراء وكذب.

هذه هي أهم عقائد الرافضة، ولهم عقائد أخرى كلها غلو وتطرف، نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعًا سواء السبيل.

إعداد/ علي حشيش

من صحيح الأحاديث القصار

١١٩٦- عَنْ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: يا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفيةُ بِنتَ عبدِ المطلبِ، يَا بَنِي عبدِ المطلبِ، لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، سَلُوني مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ ». [م(٢٠٥)، حم (٩/٢٥٥٩٢)، ت(٢٣١٠، ٣١٨٤)، ن(٣٦٥٠)، حب (٦٥٤٨)، هق (٦/٢٨٠)، (٦/٢٨١)].

١١٩٧- عن قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قالا: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إلى رَضْمَةٍ (صخرة) مِنْ جبلٍ فَعَلاَ أَعْلاهَا حَجَرًا. ثُمَّ نَادَى: «يا بَنِي عبدِ مَنَاف، إنِّي نَذِيرٌ، إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى العَدُوَّ فانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهتف: يَا صَبَاحَاهْ». [م (٢٠٧)، حم (٧/٢٠٦٢٩)].

١١٩٨- عَن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ أَدْنَى أهلِ النَّارِ عَذَابًا، يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ». [م(٢١١)].

١١٩٩- عَنْ ابنِ عبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أَهْوَنُ أهلِ النَّارِ عَذَابًا أبو طالبٍ، وهُوَ مُنتعِلٌ بنَعْلَينِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِماغُهُ». [م(٢١٢)، حم(١/٢٦٣٦)، شب (١٣/١٥٧، ١٥٨)، لو (٤/٨٧٣٥)، هق (٢/٣٤٨)].

١٢٠٠- عَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّهُ عنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعَانَ، كَانَ في الجَاهليَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نافِعُهُ؟ قال: «لا يَنْفَعُهُ، إنَّهُ لَمْ يَقُل يَوْمًا: ربِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَوْمَ الدِّينِ». [م(٢١٤)، حم (٢٤٦٧٥)، (٩/٢٤٩٤٦)، حب (٣٣٠)، ك(٢/٣٥٢٤)].

١٢٠١- عَن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، زُمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ، عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ». [م(٢١٧)، حم (٣/٩٢١٣)].

١٢٠٢- عَن عِمرانَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قالُوا: ومَنْ هُمْ يَا رسولَ اللهِ؟ قالَ: هُمْ الذينَ لاَ يَكْتَوُونَ ولاَ يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ الله أَن يَجْعَلَني مِنْهُمْ. قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ». [م(٢١٨)، حم(١٩٩٣٤، ١٩٩٨٦، ٧/٢٠٠٠٤)، طب٣٨٠، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، (١٨/٤٩٤)].

١٢٠٣- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدقةُ بُرهانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». [م(٢٢٣)، حم(٢٢٩٦٥، ٨/٢٢٩٧١)، ت(٣٥١٧)، ن(٢٤٣٦)، جه(٢٨٠)، مي(٦٥٣)، شب(١/٦)، طب(٣٤٢٣، ٣٤٢٤)، هق(١/١٠).

١٢٠٤- دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمرَ رضي اللَّهُ عنه عَلى ابنِ عَامرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَريضٌ، فقالَ: أَلاَ تَدْعُو اللهِ لي، يَا ابنَ عمرَ؟ قالَ: إنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لا تُقْبلُ صَلاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، ولاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ وكنت على البصرة». [م(٢٢٤)، حم(٤٧٠٠، ٢/٢٠٥)، ت(١)، جه(٢٧٢)، شب(١/٤/٥)، حب(٣٣٦٦)، هق(١/٤٢)].

١٢٠٥- عَنْ عَمرو بنِ سَعِيد بنِ العَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ امْرِئٍ مُسلم تَحْضُرُهُ صلاةٌ مَكْتُوبةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرَكُوعَهَا، إلاَّ كَانَتْ كفَّارةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُأتِ كَبِيرةٌ، وذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». [م(٢٢٨)، حب(١٠٤٤)].

درر البحار (٤) درر البجاد

١٢٠٦- عن حُمران مولى عثمان قال: أتيتُ عثمانَ بن عفان بوضَوء فتَوضأ ثمَّ قال: إني رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، وكانتْ صلاتهُ ومشيهُ إلى المسجد نافلةً». [م(٢٢٩)، حم(٤٥٩، ٤٧٨، ٤٨٣، ٥١٦)، نس(١٧٥)، حب(٣٦٠).]

١٢٠٧- عن أنس رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه توضأ بالمقَاعِد فقال: ألا أُريكُمْ وضوءَ رسول الله ﷺ ؟ ثم توضّا ثلاثًا ثلاثًا». [م(٢٣٠).]

١٢٠٨- عن حُمران مولى عثمان قال: تَوضَّأ عثمان بن عفان يومًا وضُوءًا حَسنًا ثم قال: رأيت رسول اللهِ ﷺ توضأ فأحسَنَ الوضُوءَ ثم قال: «من توضأ هكذا ثم خرج إلى المسجدِ لا يَنهَزُهُ إلا الصلاةُ، غُفِر له ما خلاَ من ذَنبِهِ». [م(٢٣٢)، نس(٨٥٥).]

١٢٠٩- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعة، كفارةٌ لما بَيْنهنّ ما لم تُغشَ الكبائرُ». [م(٢٣٣)، حم(٨٧٢٣)، ت(٢١٤)، هـ(١٠٨٦)، حب(١٧٣٣).]

١٢١٠- عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم أنه رأى رسولَ الله ﷺ توضَّأ فمَضْمَضَ ثم استَنثرَ ثم غسلَ وجهَه ثلاثًا، ويدَه ثلاثًا، والأُخرى ثلاثًا، ومسحَ برأسه بماءٍ غير فضل يده وغسَلَ رجليه حتى أَنْقَاهَمُا». [م(٢٣٦)، حم (١٦٤٦٧)، د(١٢٠)، ت(٣٥).]

١٢١١- عن سالم مولى شدّاد قال: دخلتُ على عائشةَ زوج النبي ﷺ يوم تُوفّي سعدُ بنُ أبي وقاص، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر فتوضأ عندها فقالت: يا عبد الرحمن، أَسْبغ الوضوءَ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيلٌ للأَعْقَاب مِن النار». [م(٢٤٠)، حم (٢٤١٧٨)، هـ(٤٥١)، حب(١٠٥٩).]

١٢١٢- عن جابر قال: أخبرني عمر بن الخطاب، أن رجلاً توضأ فترك موضع ظُفْرٍ على قَدَمِه، فأبصرهُ النبي ﷺ فقال: «ارجع فأَحْسِنِ وُضوءك». فرجع ثم صلى. [م(٢٤٣)، حم(١٣٤)، هـ(٦٦٦).]

١٢١٣- عن عُثمان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تَوضَّأ فَأَحْسَن الوضُوءَ خَرَجَتْ خطاياهُ مِن جسده، حتى تخرُجَ من تحت أَظْفَاره». [م(٢٤٥)، حم(١/٤٧٦).]

١٢١٤- عن حُذَيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ حَوْضِي لأَبعدُ من أَيْلَةَ من عَدَن، والذي نفسي بيده إني لأَذُود عنه الرجال كما يَذُود الرجلُ الإبلَ الغريبة عن حوضه». قالوا: يا رسول الله، وتعرفُنا؟ قال: «نعم، تَردون عليَّ غرًا مُحَجلين من آثارِ الوضوءِ، ليستْ لأحد غيركم». [م(٢٤٨)، هـ(٤٣٠٢)، حب(٧٢٤١).]

١٢١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أَدلُّكُم على ما يَمْحُو اللهُ به الخطَايَا ويرفعُ به الدرَجَات؟» قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: «إسْبَاغُ الوضوءِ على المكاره، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصلاة بعدَ الصلاةِ فذلكمُ الرِّبَاطُ». [م(٢٥١)، حم(٧٢١٣)، ت(٥١)، نس(١٤٣)، حب(١٠٣٨).]

١٢١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولاَ أَن أَشُقّ على أُمتي لأَمرتهُمُ بالسوّاك عند كُلِّ صلاةٍ». [م(٢٥٢)، حم(٧٣٤٣)، د(٤٦)، ت(٢٢)، نس(٥٣٣)، هـ(٢٨٧)، حب(١٠٦٨).]

١٢١٧- عن المقدام بن شُريح عن أبيه قال: سألت عائشة قلت: بأي شيءٍ كان يبدأ النبيُّ ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت: بالسواك». [م(٢٥٣)، حم(٢٤١٩٩)، د(٥١)، نس(٨)، هـ(٢٩٠)، حب(١٠٧٤).]

١٢١٨- عَنْ أنس بن مالك قال: وُقت لنا في قصِّ الشَّارب، وتقْلِيم الأَظفَار، ونَتْف الإبطِ، وحَلْق العَانةِ، أن لا نترك أكثرَ من أربعين ليْلةً». [م(٢٥٨)، حم(١٣١٠٩)، د(٤٢٠٠)، ت(٢٧٥٨)، نس(١٤)، هـ(٢٩٥).]

١٢١٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جُزُّوا الشوارب، وأَرْخُوا اللحى، خالفوا المجُوس». [م(٢٦٠)، حم(٨٧٨٦).]



خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين

إعداد

د. عبدالله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعه إلى يوم الدين... وبعد

فقد تحدثت في بعض اللقاءات السابقة عن جوانب من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وأود في هذا اللقاء أن أشير إلى أوجه أخرى من إعجازه فأقول وبالله التوفيق:

إن الهيبة العظيمة التي تأخذ قارئ القرآن وسامعه - وذلك لقوة حاله وعلو قدره - من الأدلة التي يثبت بها إعجازه وأنه كلام رب العالمين، وقد ذكر البخاري في الصحيح حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - وفيه يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير» (١).

قال الخطابي - رحمه الله-: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه»(٢)، وفي صحيح مسلم في فضائل أبي ذر - رضي الله عنه - أن أخاه أنيسًا لما ذهب إلى مكة سمع القرآن، فسأله أبو ذر بعد عودته إليه، ماذا يقول الناس ؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، ثم قال أنيس: «لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت كلامه على أقراء الشعر(٣)، فلما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون»(٤)، فالروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته هي من مناط إعجازه، وصدق الله إذ يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وهذه الروعة والهيبة قائمة باقية لدى كل سامع وقارئ مستجيب لربه، منشرح بالإيمان قلبه إلى يوم الدين، ولقد سمى الله الوحي الذي أنزله على نبيه ﷺ روحًا فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وما سماه الله روحًا إلا لتأثيره العظيم في القلوب والأرواح، ولأن به حياتهما، كما أن الغذاء به حياة الأجسام، فالوحي هو الروح الحقيقي الذي ينجو به العبد من الجهل والغفلة، ويشرق به العقل، وتسمو به النفس، ويزيد به الإيمان، ألا ترى كيف حوَّل الوحي الرباني أولئك العرب الذين لبثوا ألوفًا من السنين على الشرك والضلالة، وألوان كثيرة من الجهل والخرافة إلى رجال صادقين، أوفياء صالحين، حملوا دين رب العالمين، وجاهدوا في سبيله حتى أتاهم اليقين، واستحقوا بذلك الثناء الكبير من الرب الكريم.

إن القرآن الكريم هو كتاب البيان والهداية الذي يملك القلوب والأسماع، كما يستولي على العقول والأرواح، ولم

يقف إعجازه عند هذا الحد البياني والروحي، بل تجاوزه ليكون معجزة على مر العصور والأزمان من خلال إعجازه العلمي المتجدد على الدوام، لأن القرآن رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها فناسب أن تكون معجزته لكل أمة ولكل جيل، فالإعجاز البياني في القرآن الكريم كفى لأن يكون حجة داحضة ودليلاً رائعًا على أرباب الفصاحة والبيان، وبقي وجه الإعجاز العلمي مخبوءًا فيه إلى أن ظهرت الاكتشافات العلمية، والعلوم التجريبية، فظهر في الأفق للعالمين ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إعجاز علمي سبق كل الاكتشافات، وظهر أنه حقًا كتاب رب العالمين، كما أدرك ذلك السابقون، وما ذاك إلا لأن حقائقه العلمية ثابتة مستقرة، لم يعتورها زيف أو تغيير، وأنا أود بحديثي عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن ألفت نظر المكذبين في العصر الحاضر إلى أن ما وصلوا إليه من علوم ومخترعات كونية وعلمية صحيحة أشار إلى بعضها القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، وهذا بلا شك يدفع دفعًا إلى الإيمان والدخول في الإسلام، ومتابعة النبي - عليه الصلاة والسلام - والنفوس الإنسانية يجب عليها أن تخضع خضوعًا عظيمًا عندما تعلم أسرارًا مذهلة لم يكن للبشر سابق علم بها، خاصة إذا جاءت عن نبي أمي لا صلة له بهذه العلوم، ولم يتعلم على يد معلم من بني آدم؛ تحدث عن تلك الحقائق أو أشار إلى شيء من هذه العلوم، فلو لم يكن هذا القرآن وحيًا من رب العالمين، لما استطاع النبي ﷺ أن يقرر هذه الحقائق المجهولة، والأسرار الخفية التي لم يعرفها أحد من البشر قبل هذا العصر.

يقول الدكتور الأشقر: «العجيب في أمر هذا القرآن أن إعجازه متجدد على مر الزمان، فكل قوم يصل إليهم هذا القرآن وينظرون فيه نظر معتبر متبصر، فإنهم يجدون فيه من الآيات والدلائل ما يؤكد لهم أنه من عند الله، ونحن اليوم في هذا العصر نبغنا في العلوم التي كشفت عن شيء من أسرار الكون، فتطلعنا نبحث في مواقع النجوم

إن كثيرًا من الحقائق التي توصل إليها العلماء بعد دراسات طويلة وجهود مضنية قد تحدث عنها هذا القرآن العظيم أو أشار إليها إشارات واضحة.

ومساراتها وأحجامها، وأجوائها، كما بحث العلماء في تكوين الخلية وأسرار المخلوقات، فبحثوا في الذرة والخلية، وغاصوا في أعماق الأرض وقيعان البحار، وإذا بنا نفاجأ بأن كثيرًا من الحقائق التي توصل إليها العلماء بعد دراسات طويلة وجهود مضنية قد تحدث عنها هذا القرآن العظيم، أو أشار إليها إشارات واضحة، وكل هذا مما يزيد في الإيمان ويعمقه، ويدل على أن هذا القرآن العظيم منزل من عند الله العليم الحكيم الخبير، فهذا القرآن قول الله وأمره، والخلق صنعه وخلقه، فإذا تحدث الخالق عن الخلق، وذكر شيئًا من حقائق الخلق فلا بد أن يتطابق الخبر القولي مع الخلق الكوني، فالقول قوله، والخلق خلقه: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾(٥).

إن القرآن الكريم قد تحدث عن الآيات الكونية التي بثها الله في الآفاق هنا وهناك، وهي تشير إلى وجوده ووحدانيته، وتقيم أدلة ملموسة وبراهين محسوسة على وجوب إفراد الله بالعبادة، كما أنها تحرك الأذهان إلى تلمس المزيد والبحث والتنقيب في أسرار هذا الكون، حتى يرى المكذبون الجاحدون بعض وجوه الإعجاز فيه، ويوقنوا أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق، وصدق الله إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، والآفاق جمع أفق، وهو الناحية، والمعنى: سنريهم دلالات

صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله في الآفاق وفي أنفسهم، قال عطاء: «في الآفاق: يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق والنبات، والأشجار والجبال والبحار، وغير ذلك، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، كما في قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾(٦).

وقد بين الله في كتابه كثيرًا من غرائب صنعه وعجائبه في نواحي سماواته وأرضه ما يتبين به لكل عاقل أن الله هو الرب المعبود وحده، وقد جاء الحث في القرآن الكريم على النظر في هذه الآيات الكونية للاستفادة منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٧)، ونحن بهذا أيضًا نرد على العلمانيين الملحدين الذين يزعمون أن القرآن حجر عثرة في سبيل العلم والتقنية الحديثة المعاصرة، وهم بهذا مفترون على الله وكتابه ورسوله ﷺ؛ لأن الإسلام يدعو إلى العلم النافع المفيد، ويتبنى العلم منهجًا لمعرفة الله سبحانه ومعرفة رسوله ﷺ وآياته تدل على ذلك بجلاء ووضوح، غير أني أحذر من التعسف في فهم الآيات، وبترها عن سياقها لتخدم معاني بعيدة عن أغراضها، أو تأويلها تأويلاً يتناسب مع شيء من النظريات، ويخالف ما جاء عن الرسول ﷺ وأئمة التفسير في فهم الآيات وشرحها، وهذا في الحقيقة عدوان على القرآن، وقول على الله بغير علم ولا برهان، وسأضرب مثالاً يكشف عن بعض أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣، ٤]، ففي هذه الآية الأخيرة صورة من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ذلك أنه قد أضحى من المسلمات القطيعة: أن بصمات أصابع أي إنسان لا تتشابه مع بصمات أي إنسان آخر من هذه «الملايين»

نحن نرد على العلمانيين الملحدين الذين يزعمون أن القرآن حجر عثرة في سبيل العلم والتقنية الحديثة المعاصرة وهم بهذا مفترون على الله وكتابه ورسوله.

التي عاشت أو تعيش، أو ستحيا على هذه الأرض، حتى أصبحت هذه البصمات دليلاً لا يرقى إليه الشك في كثير من المعاملات الرسمية، فتوقيع إنسان ما على صك مالي أو وثيقة بيع قد يداخله التزييف والتزوير بخلاف البصمة، ولهذه الأسرار في البصمة الإنسانية جاء قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(٨)، ولهذا فإننا في حاجة دائمة لأن نردد قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- البخاري مع الفتح جـ٨/, ٦٠٣.

٢- المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

٣- يعني طرقه وأنواعه.

٤- صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ٢٨ جـ٤/, ١٩٢٠.

٥- نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص, ١٢٥

٦- فتح القدير للشوكاني جـ٤/, ٥٢٣.

٧- انظر النص القرآني بين التفسير والتأويل د/ عبد الفتاح سلامة جـ٢/, ٥٩٧.

٨- المرجع السابق جـ٢/, ٥٩٣.



سورة آل عمران فضائل ولطائف

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على إمام الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فنواصل بإذن الله تعالى حديثنا عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم فنقول :

ماذا أراد الله بإنزال المتشابه في القرآن؟

أجاب عنه ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» فقال: إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقن (سريع الفهم) وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خَفِيَ ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة.

وقالوا: عَيْبُ الغِنَى أنه يورث البَلَه، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة.

وقال «أكثم بن صَيْفي»: ما يَسرُّني أني مَكفِيٌّ كل أمر الدنيا. قيل له: ولم ؟ قال: أكره عادة العجز.

وكل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يَجلِ ومنه ما يَدِقُّ، ليرتقي المتعلم فيه رُتبةً بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويُدرك أقصاه، ولتكون للعالم فضيلةُ النظر، وحسنُ الاستخراج، ولتقع المثوبةُ من الله على حسن العناية.

ولو كان كل فن من العلوم شيئًا واحدًا: لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خَفيٌّ ولا جَليٌّ لأن فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها، فالخيرُ يُعرف بالشر، والنفعُ بالضرّ، والحلو بالمر، والقليلُ بالكثير، والصغيرُ بالكبير، والباطن بالظاهر. [تأويل مشكل القرآن ص٨٦- ٨٧].

قال العلامة ابن عثيمين في الآية السابقة: «والاشتباه قد يكون اشتباهًا في المعنى، بحيث يكون المعنى غير واضح، أو اشتباهًا في التعارض، بحيث يظن الظان أن القرآن يعارض بعضه بعضًا، وهذا لا يمكن أن يكون، لأن الله عز وجل قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، والقرآن يصدق بعضه بعضًا».

والتعارض الذي يفهمه من قد يفهمه من الناس يكون للأسباب التالية:

١- إما لقصور في العلم.
٢- أو قصور في الفهم.
٣- أو تقصير في التدبر.
٤- أو سوء في القصد ؛ بحيث يظن أن القرآن يتعارض، فإذا ظن هذا الظن لم يوفق للجمع بين النصوص، فيحرم الخير لأنه ظن ما لا يليق بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾.

«الآيات»: جمع آية وهي العلامة، وكل آية في القرآن فهي علامة على مُنْزِلها لما فيها من الإعجاز والتحدي، وقوله: «محكمات» أي: متقنات في الدلالة والحكم والخبر، فأخبارها وأحكامها متقنة معلومة ليس فيها إشكال.

وقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

يعني: أن أحكامها غير معلومة، وأخبارها غير معلومة، فصار المحكم هو المتقن في الدلالة سواء كان خبرًا أو حكمًا والمتشابه هو الذي دلالته غير واضحة سواء كان خبرًا أو حكمًا.

ولهذا نجد أن بعض الآيات لا تدل دلالة صريحة على الحكم الذي استُدلَّ بها عليه، وبعض الآيات الخبرية أيضًا لا تدل دلالة صريحة على الخبر الذي استدل بها عليه.

قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾:

المحكم والمتشابه

إعداد/ مصطفى البصراتي

قدَّم وصف هذه المحكمات وبيان حالها ليتبادر إلى الذهن أول ما يتبادر أنه يرد المتشابهات إلى المحكمات لأنها أمٌّ، وأمُّ الشيء مرجعه وأصله، كما قال الله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] أي المرجع وهو اللوح المحفوظ الذي ترجع الكتابات كلها إليه، ومنه سميت الفاتحة أمَّ الكتاب، لأن مرجع القرآن إليها، فهذه المحكمات يجب أن ترد إليها المتشابهات.

ينقسم الناس بالنسبة إلى هذه المتشابهات إلى قسمين:

١- قسم يتبعون المتشابه ويضعونه أمام الناس ويعرضونه عليهم فيقولون: كيف كذا وكيف كذا؟

٢- وقسم آخر يقولون: آمنا به كل من عند ربنا، فإذا كان من عند ربنا فلا يمكن أن يتناقض، ولا يمكن أن يتخالف، بل هو متحد متفق، فيرد المتشابه منه إلى المحكم، ويكون جميعه محكمًا.

وقوله: ﴿...الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: الزيغ: بمعنى الميل، من قولهم: زاغت الشمس إذا مالت عن كبد السماء (أي وسط السماء).

أي: في قلوبهم ميل عن الحق، فهم لا يريدون الحق، وإنما يتبعون المتشابه، فتجدهم - والعياذ بالله - يأخذون آيات القرآن التي فيها اشتباه حتى يضربوا بعضها ببعض وما أكثر هؤلاء، ليصدوا عن سبيل الله ويشككوا الناس في كلام الله عز وجل، وأما الذين ليس في قلوبهم زيغ وهم الراسخون في العلم الذين عندهم من العلم ما يتمكنون به أن يجمعوا بين الآيات المتشابهة، وأن يعرفوا معناها، فهؤلاء لا يكون عندهم هذا التشابه، بل يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فلا يرون في القرآن شيئًا متعارضًا متناقضًا.

وكل أهل البدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم كلهم اتبعوا ما تشابه منه، لكن مستقل ومستكثر، فهؤلاء يتبعون ما تشابه لهذين الفرضين أو لأحدهما:

١- «ابتغاء الفتنة» أي: صد الناس عن دين الله؛ لأن الفتنة بمعنى الصد عن دين الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، فتنوهم: يعني صدوهم عن دين الله.

٢- «وابتغاء تأويله»، أي: طلب تأويله لما يُريدُون، فَهُم يُفسِّرونه على مرادهم لا على مراد الله.

قال أبو بكر الأنباري: وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرآن ؛ لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلاً إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل.

قال القرطبي وهو ينقل كلام أبي بكر الأنباري: فمن ذلك ما ذكر عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء، فبلغ عمر - رضي الله عنه - فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين النخل، فلما حضر قال له عمر: من أنت ؟ قال: أنا عبد الله صبيغٌ، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا عبد الله عمر، فقام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي، ثم إن الله تعالى ألهمه التوبة وقذفها في قلبه فتاب وحسنت توبته. وقد ذكر قصة صبيغ بن عسل القرطبي في تفسير سورتي البقرة والذاريات، ونقل رحمه الله في الذاريات أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأله ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين: ما ﴿الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾، قال: ويلك، سل تفقُّهًا ولا تسأل تعنتًا، «والذاريات: الرياح».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحمد لله ربِّ السماوات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، نعوذ به سبحانه من شر كل ذي شر هو آخذ بناصيته، والصلاة والسلام على من عصمه الله من شر كل ذي شر، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أخي الحبيب: لعلك تذكر اللقاء السابق الذي قدّمنا فيه مجموعة من الفوائد والدروس مستخلصة من قصة هاروت وماروت، وتوصلنا في «رابعًا» إلى مسائل تتعلق بالسحر رأينا من الأهمية بيانها وذكرنا هناك حكم الذهاب إلى السحرة والكهّان وحرمة ذلك بإجماع أهل العلم، كما لا يجوز التداوي من السحر بسحر مثله.

وهناك طرحنا سؤالاً ألا وهو ماذا يفعل من أصابه سحر؟

وإليك الإجابة: جاء في صحيح سنن أبي داود عند أحمد - رحم الله الجميع - من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان». قال ابن القيم - رحمه الله - تعليقًا على هذا الحديث وشرحًا كاملاً قيمًا أوجز لنا فيه القضية: «النشرة: حل السحر عن المسحور وهي نوعان: أحدهما: حلُّ السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان وهو الذي نهى عنه الحديث، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدعية والأدوية المباحة فهذا جائز». اهـ.

ويتضح مما سبق أنه لا يجوز حلُّ السحر بسحر مثله حيث يتقرَّب الساحر والمسحور إلى الشيطان بطاعة لكن يعالج السحر بإحدى طريقتين الأولى: أن يُعرفُ مكانه فيُبطل؛ وهذا الذي حدث عندما سُحر رسول الله ﷺ، وهذه الطريقة قد تكون من الصعوبة بمكان، والثانية هي الرقية الشرعية من كتاب الله وبخاصة المعوذتين (الفلق والناس) «لم يتعوذ المتعوذون بمثلهما»، وبالأدعية والأدوية النافعة بإذن الله وبعض الأغذية مثل التمر والحبة السوداء، وقد صح بذلك الخبر عن المعصوم ﷺ، والله أعلم.

خامسًا: في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ مسائل:

الأولى: قد تتساءل وأنت محق في تساؤلك كيف يعلِّم الملكان الناس السحر رغم اعترافهما بأنه كفر؟ والإجابة مختصرة جدًا في قولهما: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾، والفتنة هنا بمعنى الابتلاء والاختبار، ومع

تفصيل يسير نقول: إن الابتلاء سنة الله الثابتة والمستمرة في عباده، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فالله سبحانه إنما يبتلي عباده بالخير والشر ليميز الخبيث من الطيب، وقبل الابتلاء (للتفريق بين سحر الشياطين، معجزة النبي.

الثانية: وهذه فائدة من كلام العلامة ابن عثيمين - رحمه الله-: «إن الله تعالى قد ييسر أسباب المعصية فتنة للناس، فإياك إياك إذا تيسرت لك أسباب المعصية أن تفعلها، واذكر قصة بني إسرائيل حين ابتلاهم الله بتحريم الصيد يوم السبت - صيد البحر - فلم يصبروا حتى تحايلوا على صيدهم يوم السبت، فقال الله تعالى لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، واذكر في المقابل قصة أصحاب محمد ﷺ حين ابتلاهم الله عز وجل وهم محرمون بالصيد تناله أيديهم، ورماحهم فلم يُقْدِم أحد منهم عليه حتى يتبين لك حكمة الله في خلقه». اهـ.

الثالثة: قال أيضًا - رحمه الله-: «يجب على الإنسان أن ينصح الناس وإن أدى إلى إعراضهم، فإذا كانت عندك سلعة رديئة، وأراد أحد شراءها يجب عليك أن تحذره منها». اهـ.

سادسًا: في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، تخصيص بالذكر من بين أنواع السحر لخطورته، ولأنه من أعظم الأمور المحبوبة لدى الشياطين كما صح بذلك الخبر في صحيح مسلم، ولأنّ الرابطة بين الرجل وزوجه من أوثق الروابط.

سابعًا: في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ مسائل.

الأولى: إثبات حقيقة تأثير السحر خلافًا لمن أنكر ذلك.

الثانية: أن الأسباب مهما عظمت لا تأثير لها إلا بإذن الله. أي بقدر الله ومشيئته ولم يخالف في ذلك إلا القدرية الذين زعموا أن المرء يخلق فعله بعيدًا عن قدر الله ومشيئته وخالفوا بذلك كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين، وضلوا وأضلوا كثيرًا.

الثالثة: على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعين به في جلب خير أو دفع ضر فهو سبحانه بيده مقاليد الأمور.

ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى كلام نفيس لابن القيم - رحمه الله - عن ذكره عشرة أسباب يندفع بها - بإذن الله - شر السحر والحسد والعين، وهذه الأسباب العشرة مدارها على التوحيد، فقال رحمه الله: «فالتوحيد حصن الله الأعظم من دخله كان من الآمنين»، وقال رحمه الله: «والسبب الجامع لذلك كله هو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم وأنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧]، وقال رحمه الله: «ليس أنفع للعبد من التوجه إلى الله وإقباله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره». اهـ.

ثامنًا: في قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إثبات أن تعلَّم السحر ضرر محصن لا خير فيه البتة لمن يعلّم أو يتعلم أو يتعاطى بخلاف الأمور المنهي عنها قد يكون فيها بعض النفع، أما السحر فلا خير فيه مطلقًا.

تاسعًا: بقيت قضية يستحسن أن نشير إليها وهي متعلقة بقوله ﷺ فيما صح عنه: «إن من البيان لسحرا». هل هذا على سبيل الذم أم على سبيل المدح، أو لبيان الواقع ثم ينظر إلى أثره؟ يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الجواب الأخير هو المراد؛ فالبيان من حيث هو لا يمدح عليه ولا يذم ولكن ينظر إلى أثره، والمقصود منه، فإن كان المقصود رد الحق وإثبات الباطل فهو مذموم، وإن كان المقصود إثبات الحق وإبطال الباطل فهو ممدوح». اهـ.

وبعد، فإن البيان نعمة امتن الله به عليك فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]، فهل نشكر الله على نعمته لتوظيف البيان في طاعته ؟ اللهم إني أعوذ بك من شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر سمعي وبصري.

وإلى لقاء بإذن الله تعالى.



المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا أن المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة يشمل كل عناصر المجتمع، الرجل والمرأة والطفل، ولقد بدأنا بالمرأة لأن الله تعالى بدأ بها عندما ذكر شهوات الدنيا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، ولأن النبي ﷺ حذر الأمة من الافتتان بها كما فتن بنو إسرائيل بها من قبل.

والمتأمل في تاريخ الشعوب يرى المرأة وأحوالها من أهم المؤشرات في بيان حال مجتمعها، فإن تمسكت بالفضيلة والحياء، ساد المجتمع الفضيلة والحياء، وإن تخلَّت وفسدت، فسد مجتمعها كله.

مع الرجل:

من المعلوم أن النساء شقائق الرجال:

فكل تشريع هو لعموم الناس رجالهم ونسائهم، إلاَّ إذا جاءت قرينة بينت أن الحكم خاص بالرجال دون النساء أو العكس، فبعض الضوابط التي ذكرناها للمرأة تشمل الرجل أيضًا: كغض البصر، والنهي عن الاختلاط، والنهي عن الخلوة، وعدم مصافحة النساء من غير المحارم مع التأبيد، وعدم الدخول على النساء.

وإضافة لهذا فقد نهى النبي ﷺ الرجال عن الجلوس على الطرقات، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات». قالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا، نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه». قالوا: وما حقُّهُ؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر». [متفق عليه].

وهذا من الأحاديث الجامعة، وأحكامه ظاهرة، والقائل هنا: ما لنا بدٌّ من مجالسنا هو أبو طلحة رضي الله عنه، وهو بيِّن من روايته عند مسلم.

وقد بيَّن السياق أن النهي هنا للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، وأشار بغض البصر إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن.

وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها، وبرد السلام إلى إكرام المار، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولمَّا قالوا: ما لنا منها بدٌّ، ذكر لهم ﷺ المقاصد الأصلية للمنع، فعرف أن النهي الأول للإرشاد إلى الأصلح، ويؤخذ منه أن دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة، والمصلحة لمن عمل بحق الطريق، وهذا فيه سد الذرائع.

وفي رواية مسلم: كنا قعودًا بالأفنية (وهو المكان المتسع أمام الدار)، وفيه دليل على أن أمره لهم لم يكن للوجوب، وإنما كان للترغيب والأولى، ويحتمل أن يكونوا رجوا وقوع النسخ تحقيقًا لما شكوا الحاجة إلى ذلك، ويؤيده مرسل يحيى بن يعمُر: فظن القوم أنها عزمة، وفي حديث أبي طلحة، فقالوا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتحدث ونتذاكر. [فتح الباري بتصرف].

فالصحابة يجلسون أمام بيوتهم (كما هو بالقرى) لضيق بيوتهم ولعدم التضييق على النساء، ومع ذلك ينهاهم رسول الله ﷺ عن الجلوس إلاَّ إذا أدَّوا حق الطريق، وانظر إلى أقوام يجلسون في الطرقات وعلى

المقاهي يرتكبون كلَّ ما نهى عنه رسول الله ﷺ وأكثر منه !! يقلبون أعينهم فيما حرَّم الله تعالى.

وقد قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلِّبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر

الاستئذان

من الأساليب الوقائية التي شرعها الله تعالى لإقامة المجتمع على الحياء والعفة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وحكى الطحاوي أن الاستئناس في لغة اليمن: الاستئذان.

وفي تفسير هذه الآية الكريمة بما يناسب لفظها وجهان:

١- أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش.

وقال الزمخشري: وهذا من قبيل الكناية والإرداف، لأن هذا النوع من الاستئناس يردف (يتبع) الإذن فوضع موضع الإذن.

٢- أن يكون الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يؤذن لكم أو لا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي يكون المعنى: حتى تستأنسوا أي تستكشفوا وتستعلموا هل يؤذن لكم أم لا.

مسائل تتعلق بهذه الآية:

١- الآية الكريمة دلت بظاهرها على أن دخول الإنسان بيت غيره بدون استئذان والسلام لا يجوز، فالآية فيها نهي صريح، والنهي المتجرد عن القرائن يفيد التحريم على الأصح كما تقرر في الأصول.

٢- الاستئذان ثلاث مرات، يقول المستأذن في كل واحدة منها: السلام عليكم أأدخل؟ فإن لم يؤذن له عند الثالثة فليرجع، ولا يزد على الثلاث، ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا، فلم يؤذن لي، فرجعت، قال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع».

فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلاَّ أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك. (الحديث في مسلم أيضًا بنحوه).

وبذلك تعلم أن الاستئناس في الآية هو الاستئذان ثلاثًا، وليس المراد التنحنح ونحوه، كما عزاه في فتح الباري للجمهور (الاستئذان ثلاث).

قال بعض أهل العلم: إن المستأذن ينبغي له ألاَّ يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكنه يقف جاعلاً الباب عن يمينه أو يساره ويستأذن وهو كذلك.

٣- اعلم أن المستأذن إذا قال له رب المنزل: من أنت؟ فلا يجوز أن يقول له: أنا، بل يفصح عن اسمه وكنيته إن كان مشهورًا بها، ففي البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: مَن ذا؟ فقلت: أنا. فقال: أنا أنا، كأنه كرهها.

فتكرار النبي ﷺ للفظة «أنا» مرتين يدل على أنه كرهها.

٤- اعلم أنه الأظهر الذي لا ينبغي العدول عنه أن الرجل يلزمه أن يستأذن على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغين، لأنه إن دخل على من ذكر بغير استئذان قد تقع عينه على عورات من ذكر، وذلك لا يحل له.

قال ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر». ما نصه: ويؤخذ منه أن يشرع الاستئذان على كل أحد حتى المحارم، لئلا تكون منكشفة العورة.

وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحُلُم لم يدخل عليه إلا بإذن.

ومن طريق علقمة جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: أستأذن على أمي ؟ فقال: ما على كل أحيانها تريد أن تراها.

٥- إذا لم يكن مع الرجل في بيته إلا امرأته، الأظهر أنه لا يستأذن عليها، وذلك يفهم من ظاهر قوله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، ولأنه لا حشمة بين الرجل وامرأته.

وقال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جريج لعطاء: أيستأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا. ثم قال ابن كثير: وهذا محمول على عدم الوجوب، وإلاَّ فالأولى أن يعلمها بدخوله ولا يفاجئها به لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها.

ثم نقل ابن كثير عن ابن جرير بسنده عن زينب امرأة ابن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه.

٦- إذا قال أهل المنزل للمستأذن: ارجع، وجب عليه الرجوع؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

وكان بعض أهل العلم يتمنَّى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا له: ارجع، ليرجع، فيحصل له الفضل المذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، لأن ما قال الله أنه أزكى لنا، لا شك أن لنا فيه خيرًا وأجرًا.

٧- اعلم أن أقوى الأقوال دليلاً وأرجحها فيمن نظر من كوة إلى داخل منزل قوم، ففقأوا عينه التي نظر إليهم بها ليطلع على عوراتهم، أنه لا حرج عليهم في ذلك من إثم ولا غرم دية العين ولا قصاص، وهذا لا ينبغي العدول عنه لثبوته عن النبي ﷺ ثبوتًا لا مطعن فيه، ففي صحيح البخاري بوَّب البخاري: باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح».

والجناح: الحرج، وهي نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، فهي تعم رفع كل حرج من إثم ودية وقصاص كما ترى.

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حلَّ لهم أن يفقأوا عينه.

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً اطلع في بعض حجر النبي ﷺ فقام إليه بمشقص أو مشاقص، وجعل يختله ليطعنه. (المشقص: هو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض. حُجر: جمع حجرة، وهي ناحية البيت).

وروى البخاري أيضًا عن سهل بن سعد الساعدي: أن رجلاً اطلع في جُحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرى يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما جعل الإذن من قبل البصر».

(جحر: هو النقب المستدير في أرض أو حائط).

وقد رأينا في زماننا من يتخذون النظارات المكبرة يتجسسون بها على عورات الناس خاصة بالليل، فليحذر هؤلاء لأن الاستئذان جعل من أجل البصر، ولو فقأت أعين هؤلاء حسبما وجَّه رسول الله ﷺ ما كان لهم دية ولا قصاص.

٨- اعلم أن صاحب المنزل إذا أرسل رسولاً إلى شخص ليحضره عنده، فإن أهل العلم قد اختلفوا، هل يكون الإرسال إليه إذنًا؛ لأنه طلب حضوره بإرساله إليه، أو لابد من أن يستأذن إذا أتى المنزل استئذانًا جديدًا ولا يكتفي بالإرسال، وكل من القولين قال به بعض أهل العلم.

وجمع بعض أهل العلم بين الرأيين: فإن طال العهد بين الطلب والمجيء احتاج إلى استئذان، وكذا إن لم يطل لكن كان المستدعي في مكان يحتاج فيه إلى الاستئذان، وقال آخرون: إذا حضر صحبة الرسول (المستأذن له) أغناه استئذان الرسول ويكفيه سلام الملاقاة، وإن تأخر عن الرسول احتاج إلى الاستئذان. [أضواء البيان في تفسير سورة النور].

-الستر وعدم إشاعة الفاحشة: وذلك من الأساليب الوقائية التي شرَّعها المشرِّع لتقي المجتمع من الفاحشة ؛ لأنه من المعلوم أنه إذا كثر الإمساس قلَّ الإحساس، فإذا تكررت المنكرات على القلوب ورودها وعلى العين شهودها ذهبت وحشتها من القلوب شيئًا فشيئًا، فإذا ألف المرءُ أن يرى معصية بعينها صباح مساء، فقد تموت الغيرة التي تحرك فيه حمية الغضب لله ورسوله ﷺ فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كذا فإن من أساليب وقاية النفس والمجتمع ألا تعايش المعاصي حتى وإن لم تقترفها، والقاعدة: إذا لم تستطع أن تزيل المنكر فزل أنت، وإلا فلو اعتادت عيناك رؤية المعاصي سُلِب من قلبك التمايز الذي يفرِّق ويستشعر الطاعة ونورها والمعصية وظلامها.

وهذا التكرار المستمر المنظم للمعاصي هو ما لجأ إليه أعداؤنا لغزو عقولنا وقلوبنا وسلب الحمية من قلوبنا.

لذا كان من منهج الإسلام الستر على المعاصي وعدم الجهر والإعلان بها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وهذا الوعيد الشديد هو لمن أحب إشاعة الفاحشة، فكيف بمرتكبها، وتشيع الفاحشة أي تظهر ويذيع الزنا.

وفي تفسير البغوي: العذاب في الدنيا هو الحدُّ، وفي الآخرة هو النار.

وقد توعد الله تعالى هؤلاء وذلك لمحبة إشاعة الفاحشة في المسلمين، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد أن تشيع الفاحشة، وحب ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله، وسواء كانت الفاحشة صادرة أم غير صادرة.

وكل هذا من رحمة الله لعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه. (تفسير السعدي).

والستر لعله يكون من أقوى الدوافع على التوبة والإقلاع عن المعصية، وهو نوعان:

أولاً: الستر على النفس: كما بالحديث قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلاَّ المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عليه».)) متفق عليه].

قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها.

والحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من يستتر (مفهوم المخالفة)، وأيضًا فإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس منَّ الله عليه بستره إياه. [فتح الباري].

وفي الحديث: لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة. [مسلم].

ثانيًا: الستر على الناس. وفي الحديث: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة». [مسلم].

فهتك عورات المسلمين وكشف مساوئهم يؤدي إلى فسادهم وإعانة الشيطان عليهم وتماديهم في معصية ربهم.

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلاَّ ثوبي لأحببت أن أستر عليه.

وعن عكرمة أن ابن عباس وعمار بن ياسر والزبير بن العوام رضي الله عنهم: أخذوا سارقًا فخلوا سبيله، فقلت لابن عباس (القائل عكرمة) بئسما صنعتم حين خليتم سبيله، فقال ابن عباس: لا أمَّ لك: أمَّا لو كنت أنت لسرك أن يُخلَّى سبيلك.

وقيل لابن مسعود رضي الله عنه: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد الله: إنَّا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيءٌ نأخذ به.

وهذا عمار بن ياسر يأخذ سارقًا ثم يدعه ويقول: استره لعل الله يسترني، وابن عباس يلقى سارقًا فيزوِّده ويرسله.

لكن الناس في مسألة الستر هذه على نوعين:

النوع الأول: مستور لا يُعرف بشيء من المعاصي، فهذا يستحب الستر عليه، وإذا وقعت منه معصية فإن غيبته محرمة، وهو الذي وردت فيه النصوص بالستر عليه، ومثل هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقرَّ بحدِّه لم يفسروه ولم يستفسر، بل يؤمر بالرجوع ويستر على نفسه.

النوع الثاني: من كان مستهترًا بالمعاصي معلنًا بها ولا يبالي بما ارتكب منها وما قيل له، هذا ليس له غيبة، كما قال الحسن البصري وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود.

النهي عن التجسس على الناس وأخذ الناس بالظاهر

وهذا من الأساليب الوقائية في حفظ المجتمع وصيانته من الفاحشة، فالتجسس يؤدي إلى تتبع عورات المسلمين، ومنهج الإسلام الحكيم تجاه العصاة المسرفين، يدعوهم للستر على أنفسهم، ويحذر من تتبع عوراتهم، ويحرِّم السبل إلى ذلك، فينهى عن التجسس والغيبة، ويشرع الاستئذان، ثم يفتح لهم أبواب التوبة ويدعوهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله سبحانه وتعالى.

يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم.

فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها.

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». [صحيح أبي داود].

فهتك عورات المسلمين وكشف مساوئهم يؤدي إلى فسادهم وإعانة الشيطان عليهم وتماديهم في معصية ربهم.

فنحن أُمرنا أن نأخذ الناس بالظاهر، والله يتولى السرائر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمِنَّاه وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمَنْه ولم نصدِّقه، وإن قال إن سريرته حسنه. [البخاري].

وفي رواية: ومن يظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم.

وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.



منهج السلف في تفويض الصفات ..

من لوازم القول بالتفويض في معاني الصفات أنه يؤدي إلى أن يُنسب إلى البدعة كل من خالفه، وفي هذا خطأ فادح وجرم كبير، لأنه فضلاً عما في ذلك من قلب للحقائق فإن فيه تسوية بين من أثبت الصفات وبين من نفاها، وأن يكون عامة الناس جاهلين أيّ الفريقين أصاب السنة والحق، وهذا يؤدي إلى أن يكذب القرآن وأن يكون الحق باطلاً وتكون السنة بدعة.. بينما أثبت القرآن وأيدت السنة أنه سبحانه:

الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن

العلي ... علو قهر وعلو الشأن ... جل عن الأضداد

والأعوان ... كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية

ومع ذا مطلع إليهمو ... بعلمه مهيمن عليهمُ

وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية

فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه

حي وقيوم فلا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام

لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا يكيف الحِجا صفاته

يعني صاحب (سلم الوصول إلى علم الأصول) أنه تعالى الذي لا ضد له ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته، فهو أحد في إلهيته لا معبود بحق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو، ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه، وهو أحد في ربوبيته؛ فلا شريك له في ملكه، ولا مضاد له ولا منازع ولا مغالب، أحد في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فلا شبيه له ولا مثيل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. وكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة، والخلق والرزق والإعزاز والإذلال، والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء، والخفض والرفع والعطاء والمنع، والوصل والقطع والضر والنفع، وهو سبحانه الذي له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خَلْقُ الخلق ولا بعْثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.. الأزلي بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته، وليس شيء من أسمائه وصفاته متجدداً حادثاً لم يكن قبل ذلك ثم كان، فسائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته باقية ببقاء ذاته.. وهو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد وتلك صفته التي لا تنبغي إلا له.. وهو البر وصفاً وفعلاً لكونه الصادق فيما وعد.. كما أنه المهيمن الشهيد الرقيب على عباده بأعمالهم.

وهو الذي كل معاني العلو ثابتة له، فعلوه عز وجل علو قهر إذ لا مغالب له ولا منازع وكل شيء تحت سلطان قهره، كما أنه علو شأن لكونه المتعالي عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فقد تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفؤ والنظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسِّنةِ والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثاً وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم أو يُرزَق أو أن يَفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله




من لوازم القول بالتفويض في الصفات

الحلقة السادسة عشر



إعداد

د / محمد عبدالعليم الدسوقي

ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل.

كذا ثابت له بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة، العلو والفوقية.. فهو جل جلاله كما أنبأ عن نفسه مستو على عرشه عال على خلقه بائن منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجلُّ من أن تستقصى، والفطر السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره.. ولا منافاة بين قربه سبحانه وبين علوه، فإنه المتصف في دنوه بجميع معاني العلو ذاتاً وقهراً وشأناً، فيدنو تعالى من خلقه بكيفية لا يعلمها إلا هو كيف يشاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف يشاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف يشاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته ولا لاستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهو جل جلاله قيوم بنفسه قيم لغيره إذ جميع الموجودات مفتقرة إليه لا قوام لها إلا به ولا بدون أمره وهو غني عنها، لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته.. لا تبلغ الأوهام كنهه ولا حقيقة ذاته لكونه كما قال عن نفسه: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.. طه/ ١١٠)، ولا يعلم العقل كيفية صفاته لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو، ومن ثم كان الواجب الإيمان بصفات ذاته وصفات أفعاله دون ما فرق، وإمرارها في ذات الوقت كما جاءت، واعتقاد أنها حق كما أخبر وأخبر رسوله ﷺ، وعدم التكييف والتمثيل لأنه تعالى- وكذا رسوله- أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين لنا كيفيتها، ومن ثم فليس لنا إلا أن نصدق الخبر ونؤمن به ونكل الكيفية إلى الله كما أسلفنا القول عن أم سلمة رضي الله عنها وربيعة الرأي ومالك بن أنس رحمهم الله تعالى.. وإنا والله لكالون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرج إلى حيث شاء الله ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من قبورهم حفاة غرلاً وكيفية الملائكة وعظم خلقهم، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به.. فكيف بالعرش الذي لا يقدر قدره إلا الله.. بل كيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

كما أن القول بمبدأ تفويض معاني الصفات ونفيها وعدم إثباتها هو السبيل الذي ألجأ الملاحدة القدامى من فلاسفة المسلمين إلى إنكار معاد الأجسام في الآخرة لأنهم اعتبروا القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص الصفات، إذ بموجب القول بنفي الصفات وعدم إثباتها، «احتج الملاحدة كابن سينا وغيره على مثبتي المعاد وقالوا: القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص التشبيه والتجسيم، وزعموا أن الرسول ﷺ لم يبين ما الأمر عليه في نفسه، لا في العلم بالله تعالى ولا باليوم الآخر فكان الذي استطابه على هؤلاء هو موافقتهم لهم على نفي الصفات، وإلا فلو كانوا آمنوا بالكتاب كله حق الإيمان لبطلت المعارضة ودحضت حجتهم، ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول: (ليس إلا مذهبان مذهب أهل الحديث أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون، فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف، وأهل الحديث أثبتوا ما جاء به الرسول ﷺ وأولئك جعلوا الجميع تخييلاً وتوهماً، ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث).

ويستلزم القول بالتفويض في معاني الصفات أيضاً ونفي المعرفة لمعاني صفاته تعالى المثبتة، الاستدراك على الله تعالى وتكذيبه لكونه سبحانه الذي «أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور، وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدى ولا شفاء ولا بيان»(٢٨)، ونفي معاني الصفات المثبتة بهذا فضلاً عن كونه تكذيب لله، هو ضرب لكتاب الله بعضه ببعض، وهو ما حذر صلوات الله وسلامه عليه منه فقال: (لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم) لما في ذلك من فتنة العامة بل والخاصة.

واحة

من نور كتاب الله

تذكير الأمة بفضل الصحابة

يقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربًا ما كربت مثله فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم» [مسلم].

من أقوال السلف



عن أنس رضي الله عنه قال: إن العبد إذا عمل بالبدعة خلاه الشيطان والعبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال في خطبته: ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فإنا نرجيه.

عن علي رضي الله عنه قال: ثلاثة لا يقبل معهن عمل، الشرك، والكفر، والرأي، قالوا يا أمير المؤمنين: ما الرأي؟ قال: تدع كتاب الله وسنة رسوله، وتعمل بالرأي. [كنز العمال].

حكم ومواعظ

دخل عليٌّ رضي الله عنه إلى المقابر فقال: السلام عليكم يا ندامى! أما الدور فقد سُكِنَتْ، وأما الأموال فقد اقْتُسِمَتْ، وأما النساءُ فقد نُكِحَتْ؛ هذا خبر ما عندنا، هاتوا خبر ما عندكم! ثم التفت فقال: لو أذن لهم في الكلام لتكلموا.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير.

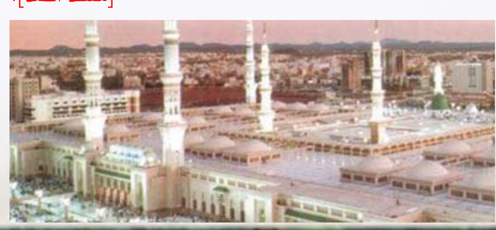
عن معاذ رضي الله عنه قال: إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

من هدي رسول الله ﷺ

زهده في الدنيا

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا رسول الله، لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا(أي أوطأ وألْيَن)، فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها».

[مسند أحمد].



من فضائل الصحابة

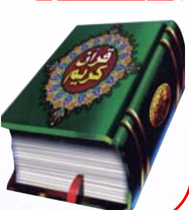
عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر، (هو ضربٌ من شجَر الطَّلح) حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط. [متفق عليه].

من جوامع الدعاء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني والذي مَنَّ عليَّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار» [سنن أبي داود].

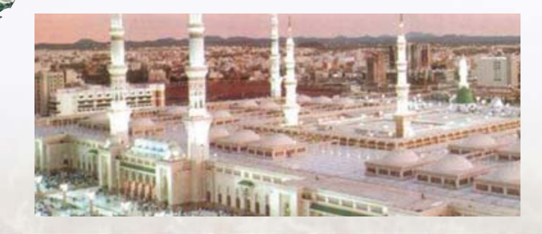
اعتقاد أهل السنة في الصفات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته بخلقه. فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة ولا رحمة ولا كلام. ولا يحب ولا يرضى ولا نادى، ولا ناجى ولا استوى: كان معطلاً جاحداً ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي أو يدان كيديَّ أو استواء كاستوائي كان مشبهًا ممثلاً لله بالمخلوقات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل؛ لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] (التدمرية).



اختر لنفسك ما تحب

عن ابن عائشة التيمي: قال: قال رجل لحماد بن سلمة : (الرجل يحبب إليه الصلاة، وآخر يحبب إليه الصيام، وآخر يحبب إليه الجهاد، وعدد خصالاً من خصال الخير). فقال: هذه كلها طرق إلى الله أحب أن تعم.



مكارم الأخلاق

أحب القلوب إلى الله

قال ابن القيم رحمه الله: «من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته، إذ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله تعالى بقدر تعلقها، القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها، وإذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأى العجائب وألهم الحكمة». [الفوائد].



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وبعد:

فقد فضل الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ واصطفاه على جميع خلقه، فهو خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد ولد آدم، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على بيان عظيم قدر النبي ﷺ ومنزلته الرفيعة، وذلك من خلال ما امتن الله تعالى به عليه من التكريم والتعظيم، ومن ذلك :

إعداد
معاوية محمد هيكل

أولاً : الإنعام الكثير عليه ﷺ :

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١- ٢].

قال شيخ المفسرين الطبري - رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: «أي بإظهاره إياك على عدوك ورفعه ذكرك في الدنيا وغفرانه ذنوبك في الآخرة».

قال القرطبي: «يتم نعمته عليك في الجنة، وقيل بالنبوة والحكمة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر، وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر».

وقال الشوكاني: «ويتم نعمته عليك بإظهار دينك على الدين كله، وقيل بالجنة، وقيل بالنبوة والحكمة، والأولى أن يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراطٍ مستقيم وهو دين الإسلام».

ثانيًا: عناية الله تعالى بنبيه ﷺ :

وتظهر هذه العناية في :

١- يقول الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١-٣]، أي: ما تخلى الله عنك أبدًا وما قلاك ولا هجرك.

وفي ا لسيرة يُروى ما يشهد لهذا المعنى: أن الله تعالى دائمًا كان يوالي حبيبه وخليله ﷺ ويحفظه، فقد سخر له عمه، الذي قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أُوَسَّد في التراب دفينًا

وذكر ابن هشام في رعاية عمه له أنه كان إذا جن الليل وأرادوا أن يناموا تركه مع أولاده ينامون حتى إذا أخذ كلٌّ مضجعه عمد عمه إلى واحدٍ من أبنائه فأقامه وأتى برسول الله ﷺ ينام موضعه ويذهب بولده لينام مكان رسول الله ﷺ حتى إذا كان هناك من يريده بسوء فرأى مكانه في أول الليل ثم جاء بعد ذلك فيقع ذلك السوء بابنه فداءً لرسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٤- ٧] أي: أنه منذ ولادته ونشأته والله يتعهده بحفظه، فصانه عن دنس الشرك وطهره وشق صدره وملأه حكمة وإيمانًا.

وكان رغم يتمه سيد شباب قريش، حيث رُوي أن عمه قال حين خطب خديجة ليتزوجها فقال فتىً لا يعادله فتى من قريش حلمًا وعقلاً وخلقًا إلا رجح عليه.

منحٌ ربانية

أ- أما قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال بعض العلماء: يعطيه في الدنيا من إتمام الدين وإعلاء كلمة الله والنصر على الأعداء. والجمهور على أنه في الآخرة، وذلك مفصلاً مواضع أخر.

ب- قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وجاء في السنة بيان المقام المحمود: وهو الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، كما في حديث الشفاعة العظمى، حين يتخلى كل نبي ويقول نفسي نفسي، حتى يصلوا إلى سيد ولد آدم ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها.

ج- ومنها الحوضُ المورود والكوثر، ومنها الوسيلة، وهي منزلة عالية رفيعة لا تنبغي إلا لعبد واحد، كما جاء في الحديث: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ وسلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ واحد وأرجو أن

أكون أنا هو».

د- ومنها الشفاعة في دخول الجنة: كما في الحديث: «أنه ﷺ أول من تفتح له الجنة، وأن خازن الجنة يقول له: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك».

هـ- ومنها الشفاعة المتعددة حتى لا يبقى أحدٌ من أمته في النار.

كما جاء في الحديث: «يا محمد، إنا سوف نرضيك في أمتك ولا نسؤوك».

و- ومن ذلك أيضًا: شهادته ﷺ على الرسل وشهادة أمته على الأمم في حين أنه هو لا يحتاج من يشهد له.

ثالثًا: تعلمه الكتاب والحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ معناه: وجدك غافلاً عما تعلمه الآن من الشرائع وأسرار علوم الدين التي لا تُعلم بالفطرة ولا بالعقل وإنما تُعلم بالوحي، فهداك إلى ذلك بما أوحى إليك.

فمعنى الضلال على هذا القول: «الذهاب عن العلم»، والدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

-قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ أي: فقيرًا، فأغناه بمال عمه، ثم ببذل خديجة رضي الله عنها، ثم بمواساة الأنصار، ثم جاءت غنائم حنين فأعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وأخيرًا توفي ﷺ ودرعه مرهونة في آصع من شعير.

وكان غناه قبل كل شيء غنى النفس والاستغناء عن الناس، وكان أجود من الريح المرسلة، وأغناه الله أيضًا بما لم يغن أحدًا غيره، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

قيل: المراد بها ما أنعم الله به عليه، والتحدث بها: شكرها عمليًا، من إيواء اليتيم كما آواه الله، وإعطاء السائل كما أغناه الله، وتعليم المسترشد كما علمه الله، وهذا من شكر النعمة.

وقيل: التحدث بنعمة الله هو التبليغ عن الله من آية أو حديث.

والنعمة هنا عامة لتنكيرها وإضافتها، كما في قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي: كل نعمة هي من الله تعالى، وأعظم النعم وأولاها وأظهرها هي نعمة الوحي لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة]، فعدّد الله تبارك وتعالى عليه نعمه في السورة التالية.

رابعًا: تشريفه بشرح صدره ورفع ذكره ﷺ:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾. قيل: هو شق صدره الشريف وغسله وملؤه حكمة وإيمانًا، وقيل: هو توسيعهُ للمعرفة والإيمان وجعل قلبه وعاءً للحكمة.

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شرح الله صدره للإسلام، وعند ابن كثير في تفسيرها نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾، وقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، وقال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾، ثم قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قيل: هو رفعٌ حسي في الأذان والإقامة وفي الخطب على المنابر وافتتاحية الكلام في الأمور الهامة.

واستشهدوا بقول حسان رضي الله عنه:

أغرُ عليه للنبوة خاتم
من الله مشهورٌ يلوح ويشهدُ
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

ومن رفع ذكره ﷺ ذكر صفته واسمه في كتب الأنبياء قبله حتى عُرف للأمم الماضية قبل مجيئه، ومن ذلك جعله تعالى الوحي ذكرًا له ولقومه، لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

فتبين أن رفع ذكره ﷺ إنما هو عن طريق الوحي: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، ذكرٌ عالٍ ومرتفع سواء كان هذا عن طريق الوحي بنصوص من توجيه الخطاب إليه مثل خطاب الله سبحانه وتعالى للنبي دائمًا بالتكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، وما صرح باسمه إلا في مقام الرسالة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة من الله عز وجل على صدق رسالته.

أيضًا يذكر اسمه ﷺ في فروع التشريع سواء في الأذان والإقامة والتشهد، أو الخطب أو الصلاة عليه

حتى إن اسمه يقترن باسم الله تعالى: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»..

خامسًا: إنعامه عليه بالخير الكثير:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قيل: هو علم، وقيل: هو صفة.

وعلى العلمية قالوا هو علمٌ على نهرٍ في الجنة، وعلى الوصف قالوا إنه فوعل أي الخير الكثير، ومما استدل به على العلمية ما جاء في السنة من الأحاديث الصحاح منها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما عُرِجَ برسول الله ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر». فالكوثر علم على هذا النهر في الجنة.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في البخاري سُئلت عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قالت: هو نهرُ أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليهما درٌ مجوف آنيته كعدد النجوم.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهرٌ في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل». الترمذي وقال حسن صحيح.

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه.

ولما سُئل سعيد بن جبير: إن الناس يزعمون أنه «أي الكوثر» نهر في الجنة، قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

إذن الكوثر هو الخير الكثير والحوض أو النهر هو من جملة ذلك الخير الكثير الذي أعطاه الله عز وجل إياه، وهذه الآية نزلت ردًا على من عيَّر النبي ﷺ بانقطاع نسله من الذكور.

وفي هذه الآية دفاع من الله مباشرة عن النبي ﷺ فلم يقل: «قل»، ولكن قال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

واستدل العلماء بهذه الآية الكريمة على أن الذين آذوا رسول الله ﷺ بهذا لابد أن نسلهم قد انقطع إما حقيقة وإما حكمًا، فإنه إذا كان أولادهم دخلوا في الإسلام فقد انقطع نسلهم حكمًا.

سادسًا حقوق النبي ﷺ على أمته

ومن النعم التي امتن الله عز وجل بها على نبينا محمد ﷺ ما أوجبه له على القلب واللسان والجوارح من حقوق زائدة على مجرد التصديق بنبوته، والله تبارك وتعالى لم يكتف منا بمجرد التصديق بالله تعالى نفسه وإنما أوجب زيادة على ذلك عبادات على القلب والجوارح واللسان، وحرم سبحانه - لحرمة رسوله مما يباح أن يفعل مع غيره - أمورًا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته.

فمن ذلك أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه وجعلها قربة وعبادة مما لم ينله غيره من الأنبياء وجمعت صيغة الصلاة والسلام عليه جميع الخيرات، ومن صلى عليه مرة صلى الله سبحانه وتعالى عليه عشرًا حضًا للناس على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وتكلم الله سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه تعالى بدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم ثنى بالملائكة ثم أمر المؤمنين بذلك.

وهذا التشريف الذي شرف الله به رسوله ﷺ بهذه الآية هو أجمع وأتم من تشريف آدم عليه السلام بسجود الملائكة له؛ لأن تشريفًا يصدر عن الله عز وجل أبلغ من تشريفٍ تختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم فيه والملائكة لا يحصي عددهم إلا الله.

وأمر الصلاة مستمر آناء الليل وأطراف النهار، وأنه سبحانه أخبر أن النبي ﷺ ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

فمن حقه أن يُحب وأن يؤثره العطشان بالماء والجائع بالطعام وأنه يجب أن يُوقى بالأنفس والأموال.

يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾.

يقول حسان رضي الله عنه:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمدٍ منكم وقاء

ومن حقه أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

وفي الصحيح من قول عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك». قال: فأنت والله يا رسول الله أحب إليَّ من نفسي. قال: «الآن يا عمر».

ومن ذلك أمر الله تعالى بتعزيره وتوقيره، قال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التكريم والتشريف والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى خصه في المخاطبة بما يليق به، فقال عز وجل: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، فنهاهم أن يقولوا: يا محمد، يا أحمد، يا أبا القاسم، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

ومن ذلك: أنه حرم التقديم بين يديه بالفعل أو بالكلام حتى يأذن، واعتبر التقديم بين يديه تقديمًا بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك أنه حرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وأخبر أن ذلك سبب لحبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر لأن العمل لا يحبط إلا به.

ومن ذلك أنه حرم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباحٌ أن يعامل بعضهم بعضًا تمييزًا له، مثل نكاح أزواجه من بعده: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

وأوجب على الأمة من أجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات المؤمنين، وأمهاتهم في التكريم والاحترام: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

ومن نعمه عليه: مدحه له، وثناؤه عليه ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

ومن لطفه تعالى بنبيه ﷺ: قال عز وجل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ حتى لا ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام فقدم العفو على هذا الكلام فهذا غاية في الإكرام؛ لأن الله تعالى عاتب الأنبياء عليهم وعلى نبينا السلام بعد الأفعال، وعاتب نبينا قبل وقوعها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾.

خصال الكمال للنبي ﷺ

قال جعفر بن محمدفي بيان عظم قدر النبي ﷺ : «من تمام نعمته عليه أن جعله نبيه، وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج، حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحل له ولأمته الغنائم، وجعله شفيعًا مشفعًا وسيد ولد آدم، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه، وجعله أحد ركني التوحيد، ثم قال: «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله».

ومن خصال كماله ﷺ مما جبله الله عليه من كمال خلقته، وجمال صورته وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه.

وأما خصاله المكتسبة الأُخْرَوية، فسائرُ الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين والصبر والشكر والعلم والحلم، والعدل والزهد والتواضع، والعفو والعِفة، والجود والشجاعة والحياء والمروءة، والصمت والتُأَدة، والوقار والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة وغيرها من الأخلاق التي جماعها حُسن الخلق.

وإذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرنا، ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدةٍ منها أو اثنتين، إن اتفقت له إما من نسب، أو جمال، أو علم، أو حلم أو قوة أو شجاعة أو سماحة حتى يَعظُم قدرُه ويُضرب به الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرةٌ وعظمة.

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كلُ هذه الخصال، إلى ما لا يحصيه عد ولا يعبرُ عنه مقال، ولا يُنال بكسبٍ ولا حيلةٍ إلا بتخصيص الكبير المتعال. من فضيلة النبوة والرسالة، والخلة والشفاعة، والوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبَشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش والطاعة والأمانة، والهداية، ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا والسؤل والكوثر، وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى اللهِ، وصلاةِ الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، ورد الشمس، والنصر بالرعب، وظل الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحتويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك سبحانه، ومفضله به لا إله غيره، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل ودرجات القدس ومراتب السعادة الحسنى التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

غـــزوة بني لحـــيـــان في سنة ٦هـ

خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب ابن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فخرج من المدينة من طريق مكة فأغذ السير سريعًا حتى نزل إلى غران وهي منازل بني لحـيـان، وغران واد قـريب من عسـفـان، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عـسـفـان ثم بعث فـارسين من أصـحـابه حـتى بلغا كراع الـغـمـيـم ثم كـرًّا وراح قــافــلاً. [تاريخ الطبري ٢/١٠٥].

مـــوت إمـــام نحـــاة الكوفـــة ثعلب سنة ٢٩١هـ

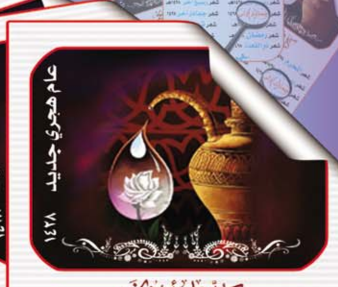
هو حـمـد بن يحـيى بن زيد بن يسـار أبو العـبـاس الشيباني مولاهم الملقب بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة ٢٠٠هـ، وكـان ثقة حـجـة دينًا صـالـحًـا مشـهـورًا بالصدق والحفظ، وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث، توفي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى منها عن إحدى وتسعين سنة، قال ابن خلكان: وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه، وكان قد أصابه صمم شديد، فصدمته فرسه فألقته في هوة فاضطرب دماغه فمات في اليوم الثاني رحمه الله، وهو مصنف كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة وله كتاب المصون واختلاف النحويين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر ومـا يلحن فـيــه العـامـة وغـيـر ذلك. [البداية والنهاية ١١/٩٨].

القبض على سفاح النساء سنة ٣١٥هـ

في جـمـادى الأولى من هذه السنة قُبض على رجل خنَّاق، قد قتل خلقًا من النساء، وكـان يدَّعي لهن أنه يعرف العطف والتنجيم، فقصده النساء لذلك فإذا انفرد بالمرأة قام إليها ففعل الفاحشة وخنقها بِوَتَر وأعانته امرأته وحفر لها في داره فدفنها، فإذا امتلأت الدار من القتلى انتقل إلى دار أخرى، ولما ظُهر عليه وجد في داره التي هو فيها أخيرًا سبع عشرة امرأة قد خنقهن، ثم تتبعت الدور التي سكنها فوجدوه قد قتل شيئًا كثيرًا من النساء، فضرب ألف سوط، ثم خنق حتى مات.

[البداية والنهاية ١١/١٥٥].

فلتحذر النساء اللواتي يذهبن إلى السحرة والعرافين.







حدث في مثل هذا الشهر

وفاة شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة سنة ٣٢٣هـ:

كان دخلُها من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار، فكانت تتصدق بأكثر ذلك على الحجيج في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم، وفي تسهيل الطرقات والموارد، وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام ولدها، فلما قتل كانت مريضة فزادها قتله مرضًا إلى مرضها ولما استقر أمر القاهر في الخلافة وهو ابن زوجها المعتضد وأخو ابنها المقتدر، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة فشفعت في القاهر وأخذته إلى عندها فكانت تكرمه وتشتري له الجواري، فلما قتل ابنها وتولى مكانه طلبها وهي مريضة فعاقبها عقوبة عظيمة جدًا حتى كان يعلقها برجليها ورأسها منكوس فربما بالت فيسيل البول على وجهها ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئًا سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديقها قيمة ذلك مائة ألف دينار وثلاثون ألف دينار، وكان لها غير ذلك أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها فامتنع الشهود من الشهادة حتى ينظروا إليها ويحلوها، فرفع الستر بإذن الخليفة فقالوا لها: أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: نعم.. وبكى الشهود وتفكروا كيف يتقلب الزمان بأهله، وأن الدنيا دار بلاء لا يفي مرجوها بمخوفها، ولا يسلم طلوعها من كسوفها، من ركن إليها أحرقته بنارها. ولم يذكر القاهر شيئًا من إحسانها إليه، رحمها الله وعفا عنه، توفيت في جمادى الأولى من هذه السنة ودفنت بالرصافة.

لكن الله تعالى لم يمهله لظلمه وجبروته:

ففي نفس الشهر الذي ماتت فيه شغب من السنة التالية لم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة وانتقم الله منه، ثم أمروا بإحضاره فلما حضر سملوا عينيه حتى سالتا على خديه، وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله، وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وافتقر حتى قام يومًا بجامع المنصور فسأل الناس فأعطاه رجل خمسمائة دينار..يقول تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، وهكذا عاقبة الأشرار. [البداية والنهاية ١١/١٧٥- ١٧٨]

وفاة إمام الأئمة عماد الدين المقدسي سنة ٧٤٤هـ:

في يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته، مرض قريبًا من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر، وكان آخر كلامه أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فصلى عليه يوم الخميس.. وكان مولده في رجب سنة ٧٠٥هـ، فلم يبلغ الأربعين وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار وتفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة وكان حافظًا جيدًا لأسماء الرجال وطرق الحديث عارفًا بالجرح والتعديل بصيرًا بعلل الحديث حسن الفهم له، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيمًا على طريقة السلف واتباع الكتاب والسنة مثابرًا على فعل الخيرات، رحمه الله. [البداية والنهاية ١٤ / ٢١٠]

نادرة من الغرائب سنة ٧٥٥هـ

في يوم الاثنين اليوم العاشر من جمادى الأولى من هذه السنة اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ويكرر ذلك لا يفتر، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة وهو يكرر ذلك السَّبّ ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس فجئت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد؟ فقال: أبو بكر الصديق، ثم قال جهرة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد، فأعاد ذلك مرتين، فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكي وجلده بالسياط وهو مع ذلك يصرح بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي، واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضيل بن محمد بن حسين بن كثير، قبحه الله وأخزاه، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشر من الشهر نفسه عقد له مجلس بدار السعادة، وحضر القضاة الأربعة وطُلب إلى هناك فقدر الله أن حكم نائب المالكي بقتله فأخذ سريعًا فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ، وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء في الفكر والزندقة، قبحه الله وإياهم. [البداية والنهاية ١٤ / ٢٥٠].

أبو هريرة راوية الإسلام وإن رغمت أنوف

إعداد
عبد المعطي عبد المقصود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فَعَلَّم من آمن به واتبع شرعه، وهذب عقول البشرية فزكاها بما أوحى الله عز وجل إليه، وأنار لها الطريق بهذا الوحي الذي جعله الله عز وجل روحًا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ «الشورى: ٥٢». فصراط الله عز وجل يبينها رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله؛ فهو خاتم الرسل ورسالته خاتمة الرسالات، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ «الأحزاب: ٤٠».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ «الأعراف: ١٥٨».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ «سبأ: ٢٨».

هيمن هذا الكتاب على الكتب السابقة، فظهر الحسد والحقد من أهل الكتاب، فعملوا على إكفار من آمن بهذا الحق، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «البقرة: ١٠٩».

ونهج نهجهم وسار على منوالهم بعض من تسموا بأسماء المسلمين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

أما المؤمنون فهم الذين إذا دعوا إلى كتاب الله وهدي الرسول الكريم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ «النور: ٥١».

فليس لهم خيار، بل يسلمون لحكم الله والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ «الأحزاب: ٣٦».

وقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ «التوبة:١٧».

وقد اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وخاطبهم بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ «آل عمران: ١١٠»، فمن أحبهم أحبه الله عز وجل فهم الذين نصروا دينه ونشروه.

لذلك نرى السلف الصالح لا ينسون فضل الله عز وجل ثم فضل نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم فضل الصحابة الكرام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ «الحشر: ١٠».

ثم خلف من بعدهم خلف نسوا الفضل وتهجموا على أهل الفضل والإحسان بغير دليل ولا برهان حقدًا عليهم وحسدًا من أعداء الدين وممن ينتسبون إلى الإسلام لقلة

علمهم ولحداثة سنهم ولسفاهة أحلامهم ولمروقهم من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يمالئون الكفرة والمشركين، وإخوان القردة والخنازير، وقد تنبأ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بذلك، قال ﷺ:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق (عالم) عالمًا اتخذ الناس رؤسًا (رؤساء) جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». متفق عليه.

لقلة علمهم بالأحاديث وعدم مقدرتهم على حفظها وفهمها ردوها وطعنوا في الأحاديث والصحابة الكرام.

يقول الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام (ص١٧٧): «إن أهل الأهواء والبدع أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ويعوها فردوها».

كل بغيتهم أن يطفئوا هذا النور، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ «التوبة: ٣٢، ٣٣».

اتجهوا إلى نقلة الأخبار لما عجزوا أمام القرآن ولم يحفظوا أحاديث الرسول الكريم ﷺ، وإلى من كان أكثر رواية للحديث عن الرسول الكريم وهو أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه، الذي دعا له خير البرية بأن يحفظ ما يسمعه منه ولا ينساه، واستجاب الله عز وجل دعاءه، فقد روى عن رسول الله ﷺ (٥٣٧٤) حديثًا.

فأبو هريرة رضي الله عنه صاحب الرسول الكريم، وقرة عين المسلمين الذي حرص على العلم فناله وعمل بالعلم فحفظه.

وهو حبيب كل مؤمن صادق، وكيد المجرمين والزنادقة الملحدين، وغصة في حلوق المنافقين وكل عدو للدين من الجهمية الذين نفوا صفات رب العالمين، والخوارج الذين مرقوا من الدين، والقدرية الذين اعتزلوا الإسلام وأهله وردوا أحاديث الرسول ﷺ في القدر، والمعتزلة منهم وعلى رأسهم النَّظَّام الذي نفي معجزات الرسول ﷺ وطعن في القرآن بعد أن هدم سنة خير الأنام.

فمن هؤلاء الأقزام الذين لا يعرفون من الدين إلا رسمه، ومن القرآن إلا اسمه، جهلة بدين الله، يقولون على الله وفي الله بغير علم، ويحكمون عقولهم في نصوص القرآن الكريم، وهدي الرسول ﷺ، أهل الأهواء والبدع يقض مضاجعهم الدين وتقلقهم سنة الصادق الأمين، فيسبون الصحابة الكرام ؛ الذين أثنى عليهم رب الأنام في محكم القرآن الكريم وشهد لهم خير البرية بأنهم خير الناس.

تعريف بأبي هريرة رضي الله عنه:

هو حافظ سنة رسول الله ﷺ، وحارسها ومؤتمن عليها هو وأخوته من الصحابة الكرام، الذين شهد لهم الداني والقاصي، وأثنى عليهم المتبع والمخالف لما كانوا عليه من خُلق قويم وهُدى على الصراط المستقيم وتأس بمن وصفه رب العالمين بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ «القلم: ٤».

هو من العرب العاربة اسمه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، ودوس بطن من بطون الأزد وهي قبيلة يمانية قحطانية.

كان ميسور الحال، لديه من يخدمه ويرعاه من العبيد، استجاب لدعوة الإسلام على يد الطفيل بن عمرو الدَّوْسيِّ، آمن أبو هريرة رضي الله عنه بالرسول ﷺ ودعا قومه للإيمان، فآمن أبو هريرة رضي الله عنه وهاجر إلى رسول الله ﷺ قبل خيبر، فضل عنه غلامه، فذهب إلى رسول الله ﷺ بعد أن ظل يبحث عنه، فلما وقف على رسول الله ﷺ قال له الصادق الأمين ﷺ: «هذا غلامك؟» فقال رضي الله عنه: هو لوجه الله.

فكان ميسور الحال، غنيًا عن سؤال الغير، يحب الدنيا، فلما رأى رسول الله ﷺ لم يتعلق قلبه بدنيا ولا مال مع أنه نشأ يتيمًا، وكان في الإسلام مسكينًا لأنه لم يشتغل بتجارة بل صرف همه ووقته ليتعلم الدين وليحفظ سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

شهد - رضي الله عنه - خيبر، وكان عمره دون الثلاثين، أسلم سنة ست للهجرة، فكانت مدة إسلامه إلى وفاة الرسول ﷺ أربع سنين وزيادة. «المسند».

طابت نفسه - رضي الله عنه - بمصاحبة النبي ﷺ ثلاث سنين دون السفر إلى البحرين ودون الغزوات التي خرج فيها مع رسول الله ﷺ. «المسند ١١١/٤، وأبو داود ١٩/١».

ولم تشغله التجارة ولا الصفق بالأسواق، دعا له خير الأنام بألا ينسى ما حفظه منه، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه لبره بها فأسلمت، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يحببه وأمه إلى عباده المؤمنين، وأن يحبب عباده المؤمنين إليهما، فدعا لهما. «مسلم».

أشهر من سكن الصفة، وكان عريفهم، استوطنها طول عمر النبي ﷺ، لازم رسول الله ﷺ وطابت نفسه وقرت عينه به، كان محبًا للعلم مخلصًا فيه، عاملاً بما علم، وهو القائل: «باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة». «البخاري تعليقًا في التاريخ الكبير ٢١٢/٤».

دعاه الرسول ﷺ إلى بعض الغنائم قائلاً له: ألا تسألني من هذه الغنائم؟ فيجيبه، أسألك أن تعلمني مما علمك الله. «تذكرة الحفاظ ٣٤/١».

شهد خيبر، ووادي القرى، وعمرة القضاء، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة نجد، وإجلاء اليهود، وفتح مكة، وحنين، وحصار الطائف بعد حنين، وتبوك، ومؤتة، وحروب الردة، واليرموك، وأرمينية، وكان مع عثمان بن عفان في الحصار.

كان أجيرًا لبسرة الصحابية المشهورة أخت الصحابي المشهور عتبة بن غزوان المازني، فتزوجها، قال: «الحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة إمامًا». «طبقات ابن سعد».

كان عديلاً لعثمان بن عفان الذي تزوج فاختة وكان له من الأبناء أربعة وبنتًا، أشهرهم المحرر، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، روى عن أبيه وكان قليل الحديث، ومُحرز ذكره البخاري في التاريخ الكبير، وعبد الرحمن وبلال، أما ابنته فتزوجها سعيد بن المسيب التابعي الجليل، اعتنى بالقرآن وحفظه ثم صار معلمًا فقرأ عليه أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي أحد القراء العشرة الأئمة وعبد الرحمن بن هرمز.

كان متواضعًا فهو الذي يقول لابن عباس رضي الله عنهما وهو أصغر منه: أنت خير مني وأعلم، ثَبْتٌ في الفتوى؛ عد ابن حزم من الصحابة ثلاثة عشر صحابيًا كان ترتيبه بينهم الرابع. «الإحكام».

كان أبو هريرة رضي الله عنه كريمًا؛ أعتق العبيد، وأحسن لمواليه، وكفل الأيتام، وأعتق الأغر بن سليك أبا مسلم المدني. بالاشتراك مع أبي سعيد الخدري، كفل معاوية بن معتب الهذلي، وكان في حجره وعلمه مما يعلم فصار إمامًا ومحدثًا، ربى أولاده تربية علمية جعل من الرواة من يحتاجون إليهم ويروون عن أحدهم وهو محرر ابنه ما فاتهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كالشعبي والزهري.

كان حافظًا متقنًا وثقه خير البرية الرحمة المهداة للبشرية عندما سأله رضي الله عنه، فقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال: لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث. «البخاري ١٤٦/٨، ٣٥/١».

أقوال الصحابة في أبي هريرة رضي الله عنه:

وثقه طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة، بقوله: سمع من رسول الله ﷺ ما لم يسمعوا، كان مسكينًا وكنا أهل بيوتات. «الترمذي».

قال عنه أُبَيُّ ابن كعب في حرصه على العلم: «إن أبا هريرة كان جريئًا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا نسأل عنها». «المسند».

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه: وأعلمنا بحديثه». «الترمذي والمسند».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رجل لابن عمر: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر: أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيء عنده ولكنه كان أجرأ وجَبُنَّا. «المستدرك».

اختلف أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، قال عبد الله بن عباس آخر الأجلين، وقال ابن عوف أقرب الأجلين: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ «الطلاق: ٤»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا مع ابن أخي، يعني: أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. «البخاري ١٩٣/٦».

وأرسل عبد الله بن عباس رضي الله عنه كريبًا مولاه إلى أم سلمة رضي الله عنها فذكرت له قصة سبيعة الأسلمية.

فهذا ابو هريرة رضي الله عنه، لا يقع فيه إلا زنديق أو منافق مغموص في النفاق أو شيوعي أفاق، أو جهمي، أو خارج على دين الإسلام، أو معتزلي قدري حكموا العقول في المنقول وطعنوا في النقلة الأخيار الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان.

فاعتبروا يا أولي الألباب، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول رب العالمين، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه، ودَعُوا ما مضى فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادًا وعملاً، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. «العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، بتصرف ص١٨٠».

وبعد، فماذا جرى في عصرنا الحاضر من أناس حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يطعنون في أولي الأحلام والنهى والذين صحبوا خير خلق الله قاطبة، خير أمة أخرجها رب العالمين لهداية الناس أجمعين.

ولكن كما قالت أخت الأمير عندما تعرض لها في الطواف الشاعر الماجن عمر بن أبي ربيعة، فلما علم أنها أخت الأمير ولى، قالت قولتها الشهيرة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الحامي

أين حراس الدين ؟! أين المسئولون !! الذين يضربون بيد من حديد على أيدي هؤلاء ويحجرون عليهم حتى لا نبتلى بأكثر مما ابتلينا به.

نسأل الله العافية والسلامة، والله الهادي إلى سواء السبيل.






يسر جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع بلبيس - أن تعلن عن الحلقة الخامسة من:
مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - في القرآن والسنة والعقيدة.

مستويات المسابقة

المستوى الأول:

١- حفظ عشرة أجزاء؛ من أول القرآن إلى آخر سورة براءة بالتجويد.

٢- تفسير ربعين من أول سورة براءة إلى قوله تعالى: «ولو كره المشركون»، ويكون التفسير من ثلاثة كتب: ابن كثير والقرطبي والسعدي.

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من ٤٠١ إلى ٥٠٠ مع شرح أول عشرين حديثًا منها من فتح الباري.

٤- حفظ ٥٠ سؤالاً من ٥١ - ١٠٠ من كتاب ٢٠٠ سؤال في العقيدة للشيخ حافظ الحكمي.

٥- الاستماع إلى شريط الصحابة عصمة للأمة، للشيخ صفوت نور الدين، رحمه الله.

المستوى الثاني:

١- حفظ خمسة أجزاء؛ من الأحقاف إلى آخر القرآن بالتجويد.

٢- تفسير سورة الحجرات من ثلاثة كتب - القرطبي وابن كثير والسعدي.

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر مسلم للمنذري من ٢٠١ إلى ٢٥٠ مع شرح أول عشرة أحاديث منها من شرح صحيح مسلم للنووي.

٤- حفظ ٢٥ سؤالاً من ٢٦ - ٥٠ من كتاب ٢٠٠ سؤال في العقيدة للشيخ حافظ الحكمي.

٥- الاستماع إلى شريطي السيرة النبوية دروس وعبر.

المستوى الثالث:

١- حفظ ستة أجزاء من الشورى إلى آخر القرآن بالتجويد.

٢- حفظ خمسين حديثًا من رياض الصالحين من ١٠١ - ١٥٠ .

٣- حفظ كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها.

موعد المسابقة:

يكون امتحان المستوى الأول يوم السبت ٨/٢٥، والمستوى الثاني الأحد ٨/٢٦، والمستوى الثالث الاثنين ٨/٢٧، ويبدأ الامتحان الساعة الثامنة صباحًا بمجمع التوحيد ببلبيس.

الشروط:

١- أن لا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٣٥ عامًا، والمستوى الثاني عن ٢٥ عامًا والمستوى الثالث عن ١٥ عامًا.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ١٥ جنيهًا، والمستوى الثاني ١٠ جنيهات، والمستوى الثالث ٥ جنيهات كمصاريف إدارية للمسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم امتحان القرآن شفويًا لجميع المستويات، وتحريريًا في باقي المواد للمستويين الأول والثاني.

٤- يتم التسجيل ودفع الاشتراك بالمركز العام - الدور السابع - مجلة التوحيد، أو بمجمع التوحيد ببلبيس، على أن يكون آخر موعد للتسجيل ٢٠٠٧/٧/٣١م، ولن تقبل أسماء بعد الموعد المحدد، وسيتم تسليم نسخة من مقررات المسابقة لكل من يسجل على حسب مستواه.

٥- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ شعبان ١١ سبتمبر بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس.





الحـــمـــد لله الذي أرسل رســوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشـركون، والصـلاة والسـلام على سـيـد الأولين والآخـرين، وبعد:

فما يزال حديثنا متصلاً حول خصوصيات النبي ﷺ، فنقــول - وبالله تعــالى التوفيق- مكملين كلامنا حول حـديثـه ﷺ الذي قـال فـيـه:



٣- وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي.

قال الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، قال ابن حجر: قال الخطابي: كان من تقدم على ضربين؛ منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغانم، ومنهم من أذن له فيه لكن كانوا إذا غنموا شيئًا لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نارٌ فأحرقته، وقيل: المراد خص بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف يشاء، ومن مضوا لم تحل لهم الغنائم أصلاً. [الفتح ٥٢٢/١].

وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا. [البخاري ٣١٢٤].

ويقول ابن حجر في شرحه: من مضى كانوا يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم لكن لا يتصرفون فيها، بل يجمعونها، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل، ومن أسباب عدم القبول، أن يقع فيهم الغُلُول وقد من الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول. [الفتح ٢٥٨/٦].

٤- وأعطيت الشفاعة:

قال الله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء78 :، ٧٩].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «: عسى في القرآن محققة الوقوع». ويقول ابن كثير: «لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، وله الشفاعة العظمى عند الله تعالى ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق، وهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ويبعث راكبًا إلى المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه». [تفسير: ٨٠/٣ بتصرف].

وفي حديث الشفاعة الطويل في آخره فيقولون: يا محمد؛ أنت رسول الله وخاتم النبيين وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي العرش فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما

بين مكة وبُصرى». [اللؤلؤ ١٢٠].
وقال ابن حجر: المراد بالشفاعة العظمى إراحة الناس من هول الموقف، ولا خلاف في وقوعها، وله أيضًا شفاعات:

النوع الثاني والثالث: شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وأقوام أمر بهم إلى النار لا يدخلونها.

النوع الرابع: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب كما في حديث عُكاشة بن محصن.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن يدخل النار فيخرجون منها، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا وتتكرر منه أربع مرات ويشهد لها حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». [شرح الطحاوية ص١٧٢ - ١٧٣ بتصرف].

٥- وبُعثت إلى الناس كافة:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، يقول ابن كثير: وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ وأنه خاتم النبيين ومبعوث للناس كافة، وساق حديثًا عند مسلم من رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار». [ابن كثير ٢/٣٤٩ - ٣٥٠ بتصرف].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٠].

وقال ابن كثير: بشيرًا ونذيرًا: أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار، وقال ابن عباس: إن الله تعالى فضل محمدًا على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس بما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾، وقال للنبي ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، فأرسله تعالى إلى الجن والإنس، وروى عن مسلم حديثًا: «بُعثت إلى الأسود والأحمر». وقيل: الأسود يعني العرب والأحمر يعني العجم، وقيل: الأسود يعني الجن والأحمر يعني الإنس، والكل صحيح. [ابن كثير ٣/٧٢٧- ٧٢٨].

وعنون الإمام مسلم في صحيحه عنوانًا وهو «تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق» وساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». ويقول النووي في شرحه للحديث: وأما قوله ذلك يوم القيامة مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة؛ فسبب التقييد أنه في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، ولم يقل ذلك فخرًا وإنما قاله لوجهين ؛ الأول: امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾، والثاني: أنه من البيان الذي يجب تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه بما تقتضي مرتبته، والحديث دليل على تفضيله على الخلق كلهم الآدميين وغيرهم، وأما حديث لا تفضلوا بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه:

١- أنه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

٢- قاله أدبًا وتواضعًا.

٣- أن النهي إنما هو عن تفضيلٍ يؤدي إلى تنقيص المفضول.

٤- إنما نهى عن تفضيلٍ يؤدي إلى الخصومة والفتنة.

٥- أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى.

ولابد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾، وقوله: «أول شافع وأول مُشَفَّع: ذكر الثاني لأنه قد يَشْفَعُ اثنان فَيُشَفَّعُ الثاني منهما قبل الأول، والله أعلم». [النووي في شرح مسلم ج١٥/ص٣٧ - ٣٨ بتصرف].

فيا ليت أعداء الرسول ﷺ من يهود ونصارى يقرأون عنه قراءة صحيحة من مصادرها كما يقرؤون في العلوم الكونية والإنسانية ويتحرون الصحيح منها فسوف يعرفون أن الرسول ﷺ سيدهم وأنه بشير ونذير لهم وسيدٌ على الأنبياء وكل ولد آدم فيؤمنوا به ويطيعوه بدلاً من أن يسبوه، ويعادوه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه



الاختلاف وثماره الخبيثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد خلق الله تعالى الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه، ثم إنه جل وعلا لم يتركهم سدى وهملاً، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب بالحق للحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ثم إن الله تعالى حرم التنازع والفرقة وبين أنها بذور الفشل وذهاب الريح والراية، وتفصيل ذلك في الكلمات التالية:



العاقبة السيئة للاختلاف:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سمعت رجلاً يقرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». [صحيح البخاري ح٣٢٨٩].

فانظر أخي كيف تغير وجه النبي ﷺ لما رأى الاختلاف على شيء يحتمل السؤال، ويحتمل إرادة الفهم والاستفسار، فكيف بتصعيد الاختلاف حتى تتقطع الصلات والأرحام؟!

١- مضار الاختلاف على الطعام:

وهذا أيضًا أثر من آثار الاختلاف السيئة تظهر في طريقة تناول الطعام.

عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، إننا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعلكم تفترقون؟» قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه».

قال أبو داود: إذا كنت في وليمة فوضع العشاء فلا تأكل حتى يأذن لك صاحب الدار. [سنن أبي داود (٣٧٦٤)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

والإذن والاستئذان في الطعام نوع من الاجتماع وعدم الافتراق بحيث لا يفعل المرء الشيء من تلقاء نفسه إلا أن يؤذن له.

قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، والشبع نقيض الجوع، فقال: «لعلكم تفترقون» أي: حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده، ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي في ابتداء أكلكم «يبارك لكم فيه» أي في الطعام. فقد روى أبو يعلى في مسنده وابن حبان والبيهقي والضياء عن جابر مرفوعًا: «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي». وروى الطبراني عن ابن عمر موقوفًا: «طعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية فاجتمعوا عليه ولا تفرقوا». وأما قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ فمحمول على الرخصة أو دفعًا للحرج عن الشخص إذا كان وحده.

وذُكر عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: وحشي بن حرب شامي تابعي لا بأس به. [عون المعبود ١٠/١٧٠].

٢- مضار التفرق عند النزول في الشعاب والأودية:

وحتى في نزول الأماكن منع الإسلام التفرق وجعل ذلك من صنع الشيطان وطاعته ووسوسته وكيده.

عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان»، فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال لو بسط عليهم

ثوب لعمهم. [سنن أبي داود (ح٢٦٢٨)، قال الشيخ الألباني: صحيح].

وهنا يظهر مدى استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ في الاجتماع وترك الفرقة.

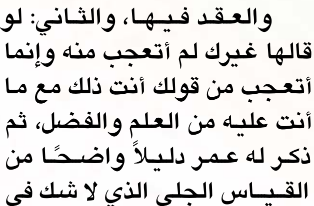
٣- التفرق عند حدوث المصائب العامة:

وأشد مما سبق التفرق عند نذير الأمن أو الخوف الذي يتصل بجمع المسلمين عمومًا.

أ- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد ؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مُصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه». قال: فحمد الله عمر ثم انصرف. [متفق عليه].

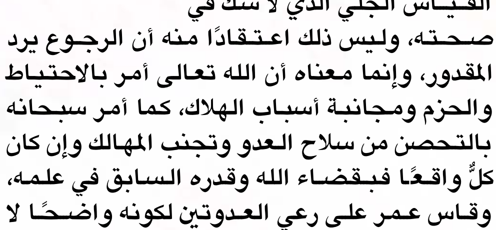
قصد عمر رضي الله عنه الرجوع أولاً بالاجتهاد حين رأى الأكثرين على ترك الرجوع مع فضيلة المشيرين به وما فيه من الاحتياط، ثم بلغه حديث عبد الرحمن فحمد الله تعالى وشكره على موافقة اجتهاده واجتهادِ معظم أصحابِهِ نَصَّ رسول الله ﷺ ... أما العدوة فبضم العين وكسرها وهي جانب الوادي، والجدبة: ضد الخصيبة.

أما قول عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؛ فجواب لو محذوف، وفي تقديره وجهان ؛ أحدهما: لو قاله غيرك لأدبته لاعتراضه عليَّ في مسألة اجتهادية وافقني عليها أكثر الناس وأهل الحل



والعقد فيها، والثاني: لو قالها غيرك لم أتعجب منه وإنما أتعجب من قولك أنت ذلك مع ما أنت عليه من العلم والفضل، ثم ذكر له عمر دليلاً واضحًا من القياس الجلي الذي لا شك في صحته، وليس ذلك اعتقادًا منه أن الرجوع يرد المقدور، وإنما معناه أن الله تعالى أمر بالاحتياط والحزم ومجانبة أسباب الهلاك، كما أمر سبحانه بالتحصن من سلاح العدو وتجنب المهالك وإن كان كلٌّ واقعًا فبقضاء الله وقدره السابق في علمه، وقاس عمر على رعي العدوتين لكونه واضحًا لا ينازع فيه أحد مع مساواته لمسألة النزاع.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].



فانظر أخي - رحمني الله وإياك - كيف اجتمع شمل المسلمين في مثل هذه الحادثة مع تباين الآراء فيها وتضادها، وكيف التفوا حول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فكان في اجتماعهم خير وبركة، ودحرٌ للشيطان وأعوانه ؟ والأجمل أيضًا التزامهم النص الشرعي، فلم يكن النص في واد، والناس في واد آخر، وإنما ساروا مع الكتاب حيث سار، وداروا مع النص حيث دار، عليهم رحمات ربنا العزيز الغفار.

فهل يستطيع الناس في زمننا إذا حدث شيء من هذا - لا قدر الله - أن يحكمهم النص الشرعي؟! أم أنه سيكون لكل واحد منهم وجهة هو موليها؟ ولسان حاله بل ومقاله: نفسي نفسي.

ب- والتفرق يظهر أثره ويستبين ضرره، ويشتد خطره كما في هذه الحادثة: يقول أبو حميد الساعدي رضي الله عنه: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقله، فعقلناها»، وهبت ريح شديدة فقام رجل فألقته بجبلي طيّ. [صحيح البخاري]،



وفي هذا بيان أن من اجتمعوا على توجيه الرسول ﷺ سلموا من المكروه، ومن شذ عن



المجموع لحقه عاقبة شذوذه».

٤- الاختلاف في الصلاة:

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافًا. [مسلم ح٤٣٢].

وكيف يقال عنا اليوم مقارنة بزمن أبي مسعود، ومقارنة بزمن النبي ﷺ ؟!

وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق». هيشات الأسواق: أي اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات. [صحيح أبي داود ح٦٢٧].



ويقال مثل هذا للمختلفين في المساجد، المتنازعين والناس ما بين راكع وساجد، الرافعين أصواتهم بالشقاق والمفاسد، فهل يصلح أن تكون المساجد أسواقًا؟

٥- أشد الاختلاف وأشره:

وأشد مما سبق - على خطورته - الافتراق في الدين بالابتداع، والاعتقادات المنحرفة ومخالفة ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة». [سنن ابن ماجه ح٣٩٩٣، وسنن أبي داود، قال الشيخ الألباني: صحيح].

المراد: أمة الإجابة، وهم أهل القبلة، فإن اسم الأمة مضافًا إليه ﷺ يتبادر منه أمة الإجابة، والمراد تفرقهم في الأصول والعقائد لا الفروع والعمليات. [سنن ابن ماجه ح٣٩٩١].

قال شمس الحق أبو الطيب في شرحه عون المعبود: «افترقت اليهود» إلخ. هذا من معجزاته ﷺ لأنه أخبر عن غيب وقع، وقد ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابًا قال فيه: قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يُرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأن المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف، وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية. انتهى باختصار يسير.

وعن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه (أي ممن عضه الكلب) عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لَغَيْرُكُمْ من الناس أحرى أن لا يقوم». [مسند أحمد بن حنبل ح١٦٩٧٩].

قوله ﷺ: «وإن هذه الملة» يعني أمته ﷺ «وهي» أي الواحدة التي في الجنة «الجماعة» أي أهل القرآن والحديث والفقه والعلم الذين اجتمعوا على اتباع آثاره ﷺ في جميع الأحوال كلها ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير، ولم يبدلوا بالآراء الفاسدة (تجارى) بحذف إحدى التاءين أي تدخل وتسري (تلك الأهواء) أي البدع (كما يتجارى الكَلَب) بالكاف واللام المفتوحتين، داء يعرض للإنسان من عض الكَلْبِ الكَلِب، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعض أحدًا إلا كَلَب، ويعرض له أعراض ردية، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا. كذا في النهاية. [عون المعبود ١٢/٢٢٣].

وفي تحفة الأحوذي (٧/٣٣٤): «إلا أهل ملة». قالوا: من هي ؟ أي تلك الملة - أي أهلها - الناجية. قال: «ما أنا عليه وأصحابي» أي هي ما أنا عليه وأصحابي.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة الأعرابي والمحاسبة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت في كتب المتصوفة واشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والقصاص.

الحلقة الثانية والثمانون

إعداد: علي حشيش

أولاً: المتن:

يُرْوَى عن أنس أن أعرابيًا قال: يا رسول الله، من يلي حساب الخلق ؟ فقال النبي ﷺ: «الله تبارك وتعالى». فقال الأعرابي: «هو بنفسه؟» قال النبي ﷺ: «نعم»، فتبسم الأعرابي، فقال النبي ﷺ: «ممَّا ضحكت يا أعرابي ؟». فقال الأعرابي: «إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح». فقال النبي ﷺ: «صدق الأعرابي، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين، ثم قال: فقه الأعرابي».

ثانيًا: التخريج والتحقيق:

١- الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية أورده أبو حامد الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» (١٤٦/٤) قال: وفي الحديث الطويل لأنس: «أن الأعرابي قال: يا رسول الله، من يلي حساب الخلق؟» القصة.

٢- قال الإمام الحافظ العراقي في كتابه «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار» (١٤٦/٤): «حديث أنس الطويل قال أعرابي يا رسول الله من يلي حساب الخلق؟» الحديث لم أجد له أصلاً.

ثالثًا: معنى مصطلح «الحديث لا أصل له»:

قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٩٧/١): «قولهم هذا الحديث ليس له أصل أو لا أصل له، قال ابن تيمية: معناه ليس له إسناد».

ومصطلح «لا أصل له» لا يقبل إلا من الحافظ المطلع الناقد، ويرادفه قولهم: «لم أقف له على أصل»، «لم أجد له أصلاً»، «لم أقف عليه»، «لا أعرفه بهذا اللفظ»، «لم أره بهذا اللفظ»، «لم أجده»، «لم أجده هكذا»، «لم يرد فيه شيء»، «لا يعلم من رواه ولا إسناده»، «لا أعرفه»، «لم أعرفه».

فهذه العبارات إذا صدرت من أحد الحفاظ المعروفين ولم يتعقبه أحد كفى للحكم على الخبر بالرد، ففي «تدريب الراوي» (٢٩٦/١، ٢٩٧)، قال السيوطي: «إذا قال الحافظ المطلع الناقد في حديث «لا أعرفه» اعتمد ذلك في نفيه»، ثم قال السيوطي: «لأنه بعد تدوين الأخبار والرجوع إلى الكتب المصنفة يبعد عدم الاطلاع من الحافظ الجهبذ على ما يورده غيره».

رابعًا: لفظ آخر لقصة الأعرابي والمحاسبة.

ولهذا اللفظ اشتهرت القصة وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها أن البعض يتقرب إلى الله تعالى بطبع هذه القصة الواهية وتوزيعها على الناس في المساجد والطرقات ومن الطبعات التي وصلت إلينا حول هذه القصة وجدنا مكتوبًا في نهاية القصة هذه العبارة: «اللهم اغفر لكل من نقلها ونشرها ووالديه ولا تحرمهم الأجر يا كريم».

قلت: انظر كيف وصل الحد إلى ترويج هذا الكذب، ولم يدر من يفعل ذلك أنه داخل تحت الوعيد في قوله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». رواه مسلم.

هذا حكم من سكت عن الأحاديث الضعيفة في الفضائل ! فكيف إذا كانت في الأحكام ونحوها؟

واعلم أن من يفعل ذلك فهو أحد رجلين:

١- إما أن يعرف ضعف تلك الأحاديث ولا ينبه على ضعفها، فهو غاش للمسلمين، وداخل حتمًا في الوعيد

المذكور، قال ابن حبان في كتابه «الضعفاء» (١/٧ – ٨): «في هذا الخبر دليل على أن المحدث إذا روى ما لم يصح عن النبي ﷺ مما تقول عليه وهو يعلم ذلك يكون كأحد الكاذبين، على أن ظاهر الخبر ما هو أشد قال ﷺ: «من روى عني حديثًا وهو يرى أنه كذب». ولم يقل: إنه يتقن أنه كذب – فكل شاك فيما يروي أنه صحيح أو غير صحيح داخل في ظاهر خطاب هذا الخبر».

ونقله ابن عبد الهادي في «الصارم المنكى» (ص١٦٥– ١٦٦)، وأقره.

٢- وإما أن لا يعرف ضعفها فهو آثم أيضًا لإقدامه على نسبتها إليه ﷺ دون علم، وقد قال ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»، فله حظ من إثم الكاذب على رسول الله ﷺ، لأنه قد أشار ﷺ أن من حدث بكل ما سمعه، ومثله من كتبه، أنه واقع في الكذب عليه ﷺ لا محالة، فكان بسبب ذلك أحد الكاذبين، الأول: الذي افتراه، والآخر: هذا الذي نشره، قال ابن حبان أيضًا (٩/١): «في هذا الخبر زجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم علم اليقين صحته». اهـ.

وهذه القصة الواهية التي يقومون بنشرها والدعوة إلى نقلها وانتشارها وهذا لفظها:

بينما النبي ﷺ في الطواف إذ سمع أعرابيًا يقول: يا كريم.

فقال النبي ﷺ: خلفه يا كريم.

فمضى الأعرابي إلى جهة الميزاب وقال: يا كريم.

فقال النبي ﷺ خلفه: يا كريم.

فالتفت الأعرابي إلى النبي ﷺ وقال: يا صبيح الوجه، يا رشيق القد أتهزأ بي لكوني أعرابيا ؟ والله لولا صباحة وجهك، ورشاقة قدك لشكوتك إلى حبيبي محمد ﷺ.

فتبسم النبي ﷺ وقال: أما تعرف نبيك يا أخا العرب ؟ قال الأعرابي: لا.

قال النبي ﷺ: فما إيمانك به؟

قال: آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه.

قال النبي ﷺ: «يا أعرابي، اعلم أني نبيك في الدنيا وشفيعك في الآخرة».

فأقبل الأعرابي يقبل يد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مه يا أخا العرب، لا تفعل بي كما تفعل الأعاجم بملوكها، فإن الله سبحانه وتعالى بعثني لا متكبرًا ولا متجبرًا، بل بعثني بالحق بشيرًا ونذيرًا فهبط جبريل على النبي ﷺ وقال له: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: قل للأعرابي لا يغرنك حلمنا ولا كرمنا فغدًا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير».

فقال الأعرابي: أو يحاسبني ربي يا رسول الله؟

قال: نعم يحاسبك إن شاء.

فقال الأعرابي: وعزته وجلاله إن حاسبني لأحاسبنه.

قال النبي ﷺ: وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب ؟

قال الأعرابي: إن حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته، وإن حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه، وإن حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه.

فبكى النبي ﷺ حتى ابتلت لحيته.

فهبط جبريل على النبي ﷺ وقال: «يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول لك: يا محمد قلل من بكائك فقد ألهيت حملة العرش عن تسبيحهم، وقل لأخيك الأعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه فإنه رفيقك في الجنة». اهـ.

خامسًا: التحقيق:

قلت: وعلامات الوضع ظاهرة على هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية بما فيها من حديث نبوي منسوب كذبًا وبهتانًا إلى النبي ﷺ وبما فيها من حديث قدسي منسوب كذبًا وبهتانًا إلى رب العزة.

وهذه العلامات من الوضع ظاهرة كما بينها الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٢٢) حيث قال:

أ- «وما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل». فمن هذه القرائن التي يعلم بها أن القصة باطلة:

١- حدوث هذا الحوار الطويل في الطواف.

٢- وقول الأعرابي: «إن حاسبني الله لأحاسبنه».

٣- إقرار رسول الله ﷺ على هذا وبكاؤه ﷺ.

٤- حملة العرش ألهاهم النبي ﷺ عن تسبيح ربهم.

٥- هبوط جبريل على النبي ﷺ بقول الله تعالى: «قل لأخيك الأعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه».

ب- وقال الإمام ابن القيم من علامات الوضع أيضًا: «أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه».

قُلْتُ: ولقد بينا من القرائن والشواهد في الحديث الذي جاءت به القصة ما يدل على بطلانه وأن هذه القصة من وضع المتصوفة ولا أصل لها.

ثم قال الإمام ابن القيم من دلائل الوضع «مخالفة الحديث صريح القرآن».

أ- قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ب- وقال تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

سادسًا: صحيح ما جاء في المحاسبة:

في قصة عائشة رضي الله عنها:

قال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا نافع بن عمر قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عُذب» قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قالت: فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يَهْلِك».

قلت: هذا الحديث أخرجه البخاري (ح١٠٣) وهناك بيان لبعض ألفاظه، حيث أخرجه الإمام البخاري أيضًا (ح٦٥٣٧) قال: حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا روح بن عبادة حدثنا حاتم بن أبي صغيرة حدثنا عبد الله بن أبي مليكة حدثني القاسم بن محمد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك». فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، ولَيْسَ أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب».

قلت: هذا الحديث أخرجه أيضًا الإمام البخاري في موضعين آخرين (ح٤٩٣٩) (ح٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأبو داود (ح٣٠٩٣)، والترمذي (٢٤٢٦)، (ح٣٣٣٧)، وأحمد (ح٢٤٢٥٥)، (٢٤٨٢٣)، (٢٥٠١٢)، (٢٥٧٦٥)، وبهذا يتبين:

١- الحديث متفق عليه حيث أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

٢- قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (ح٢٨٧٦): «قوله في إسناد هذا الحديث: «عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة» هذا مما استدركه الدارقطني على البخاري ومسلم وقال: اختلفت الرواية فيه عن ابن أبي مليكة فروى عنه عن عائشة، وروى عنه عن القاسم عنها، وهذا استدراك ضعيف لأنه محمول على أنه سمعه من القاسم عن عائشة، وسمعه أيضًا منها بلا واسطة فرواه بالوجهين وقد سبقت نظائر ذلك». اهـ.

٣- وهذا الموضوع في غاية الأهمية، حيث يظهر منه أن الإمام البخاري طبيب الحديث في علله.

أ- في الحديث (٦٥٣٦) قال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود عن ابن أبي مليكة عن عائشة مرفوعًا به.

ب- ثم قال البخاري في نهاية هذا الحديث: حدثني عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد عن عثمان بن الأسود سمعت ابن أبي مليكة قال: «سمعت عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ ... مثله».

جـ- قلت: انظر في السند الأول: ابن أبي مليكة عن عائشة في السند الثاني ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة.

د- فعن في السند الأول لا تقطع بالسماع خاصة وأن هناك السند الثالث، قال ابن أبي مليكة حدثني القاسم بن محمد حدثتني عائشة.

فيتوهم أن هناك سقطًا بين ابن أبي مليكة وعائشة، لذلك جاء الإمام البخاري برواية وقع فيها التصريح بالسماع ليعالج الوهم الذي وقع في رواية العنعنة خاصة وأن هناك رواية ثالثة فيها واسطة في السماع بين ابن أبي مليكة وعائشة.

م- لذلك قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٠٨/١١): «وقد وقع التصريح بسماع ابن أبي مليكة له عن عائشة في بعض طرقه كما في السند الثاني من هذا الباب فانتفى التعليل بإسقاط رجل من السند، وتعين الحمل على أنه سمع من القاسم عن عائشة ثم سمعه من عائشة بغير واسطة أو بالعكس، والسر فيه أن في روايته بالواسطة ما ليس في روايته بغير واسطة وإن كان مؤداهما واحدًا، وهذا هو المعتمد بحمد الله ». اهـ.

ن- هذا هو الإمام البخاري في دقة بحثه ليداوي السند حتى لا يتوهم أن به علة وليحذر الذين لا دراية لهم بهذا العلم من الطعن في أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري بأقلام مسمومة على صفحات جرائدهم التي لا يهمنا ذكرها، ولا ذكر الذين سولت لهم أنفسهم بذلك اتباعًا لأهوائهم، وجريًا وراء ظنهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

هـ- لا يعرف قدر البخاري في هذا العلم إلا أهله، ففي «البداية والنهاية» (٢٩/١١) قال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وطبيب الحديث في علله ثم سأله عن بعض الأحاديث فذكر له علتها فلما فرغ قال مسلم: «لا يبغضك إلا حاسد».

و- هذا هو فقه حديث عائشة سندًا ومتنًا عندما سمعت رسول الله ﷺ قوله: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك».

وأدب الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما نظرت إلى الحساب المذكور في الآية ومن هنا نشأ الإشكال عندها فجاءت النبي ﷺ مستوضحة الأمر في أدب جم فبين لها النبي ﷺ المراد: بأن الحساب يراد منه المناقشة، وفي الآية يراد منه العرض على الله تعالى، وبالتالي فلا تعارض ولا إشكال لانفكاك الجهة، إذ التعارض أو الإشكال إنما يكون إذا اتحدت الجهة ولا اتحاد هنا، وبهذا يتبين منزلة السنة من القرآن، وتأتي شارحة للقرآن تفصل المجمل وتوضح المشكل وتخصص العام وتقيد المطلق وتأتي بتشريع أحكام.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه وهو وحده من وراء القصد.

الأهواء والبدع ومصنفاتها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نواصل ما بدأناه في العدد الماضي من الموازنة بين سمات أهل السنة من جانب، وسمات أهل الأهواء والبدع، فنقول مستعينين بالله تعالى :

سادسًا: من سمات أهل السنة الولاء للمؤمنين وحب الصالحين، وتعظيم قدر الصحابة والعلماء أئمة الدين، ومن سمات أهل الأهواء الغِلُّ على أهل السنة، وسبّ السلف ولمزهم، ومن ذلك:

١- طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ أو بعضهم ولمزهم للسلف (أهل الحديث والسنة)، وتعييرهم وسبهم وبغضهم، ومن ذلك تسميتهم أهل السنة (حنابلة) أو (وهابية)، ونحو ذلك.

٢- جفاؤهم للحديث والإسناد وأهله غالبًا.

٣- كذبهم وتقولهم على الأئمة العلماء.

سابعًا: يتسم كثير من أهل الأهواء بموقفهم العدائي مع المخالفين، ومن ذلك:

١- مواقفهم مع المخالفين إجمالاً تتسم بالغرور والتعالي، والاستهانة بالرأي المخالف وصاحبه والتضييق ظلمًا وعدوانًا، والإلزام بالباطل بغير بينات، ولذلك نجد غالبهم يتنكرون للسنة ويضيقون على أهلها.

٢- يبتدعون البدعة ويكفرون مخالفها، أو على النقيض من ذلك، فبعضهم لا يفرق بين السنة والبدعة، ولا بين الإيمان والكفر، أما أهل السنة - فهم بحمد الله - أهل إنصاف وتواضع وإشفاق ورحمة، ولا يكفرون المخالف لمجرد كونه مخالفًا إلا بدليل.

ثامنًا: من أصول أهل الأهواء والافتراق:

الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، واستحلال السيف، وهذا منهج غالب فيهم، ومن سماتهم العامة، فهم لا يرون للسلطان طاعة، ولا يأخذون بوصية النبي ﷺ بالصبر على الظلم والجور والأثرة من الوالي المسلم، ولذلك كان بعض السلف يسمي كل أهل الأهواء (خوارج.(

تاسعًا: من سمات أهل الأهواء:

الإصرار على بدعهم (إلا النادر)، فلا يهتدون إلى الحق والسنة ولا يوفَّقون للتوبة؛ وذلك بسبب إصرارهم على البدعة- والله أعلم- فهم ممن قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤].

عاشرًا: من سمات أهل الأهواء:

كثرة الكلام فيما لا يعنيهم، وما ليس من اختصاصهم لا سيما في أمور الدين والعقيدة، والإكثار من حشو الكلاميات، ومن الكتب والمصنفات والردود ؛ ولذلك اتسمت كتبهم ومصنفاتهم وأعمالهم بقلة البركة وقلة الفائدة.

حادي عشر: من سمات أهل الأهواء:

حرصهم على نشر البدعة، وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم، ولذلك تكثر استمالتهم للعامة والغوغاء والدهماء، وأصحاب المطامع وعشاق الشهرة، وقد تستجيب لهم هذه الفئات بسرعة عند الفتن، وعند غربة السنة وأهلها.

ثاني عشر: من سمات أهل الأهواء:

التعالم والغرور، فمن تعالمهم: زعمهم أنهم

سبب تفرق المسلمين

إعداد
ناصر العقل

مـثلهم، وأنهم جـديرون بالقـول والحكم والاجتهاد مع قلة علمهم وجهلهم بالنصوص وقواعد الاستدلال وأصول الاجتهاد، بل إن غالبهم في الحقيقة من أصحاب الجهل المركب، ومن غرورهم وخذلانهم ظنهم أنهم ينصرون الإسلام بمناهجهم الضالة ومقالاتهم المبتدعة.

ثالث عشر: من سمات أهل الأهواء:

وقوعهم بين الغلو والتقصير، فكلُّ أهلِ الأهواء خارجون عن منهج الاعتدال، فمنهم فرق اتسمت بالغلو والتنطع، كالخوارج والشيعة وبعض المعتزلة، وأخرى اتسمت بالتقصير، كالمرجئة والجهمية، وثالثة جمعت بين الغلو والتقصير كالصوفية وأكثر المعتزلة.

رابع عشر: ومن سمات أهل الأهواء كذلك:

١- استحواذ الشياطين والجن على طوائف منهم.

٢- الجرأة على الله ورسوله وعلى الدين وعلى عباد الله الصالحين، ومن هنا نجد أن أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام ؛ لذا وقعوا في تقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها.

٣- القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعضهم يعبر عن الجهاد بأنه (قسوة وعنف)، والنهي عن المنكر بأنه (حَجْرٌ وتقييد للحريات).

٤- يكتبون ما لهم ويعلنونه ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه.

٥- التكلف والتعمق واتباع الصعاب والمحارات والمعضلات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٦- اعتقادهم ما تتوهمه عقولهم، فإن أصولهم واعتقاداتهم ناتجة عن التوهمات والخيالات والتخرصات، فهم على منهج الذين

> من السمات المشتركة عند أهل الأهواء والبدع التعالم وادعاء العلم، وظنهم أنهم ينصرون الإسلام بمناهجهم الضالة

قال الله فيهم: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠- ١١].

٧- تستهويهم العقليات والفلسفات ويزينها لهم الشيطان، وقد نتج عن تعويلهم على ذلك زعمهم أن العقيدة (عقيدة السلف) مما لا يعقل، وتوهموا المعارضة بين العقل والشرع.

٨- ومن أبرز سمات أهل الأهواء والبدع: مضاهاتهم للشرع، وتدرجهم في مناهج الباطل، واتسامهم بالذلة والصغار.

٩- المتأمل لحال أهل البدع والأهواء يجد أنه ليس في أئمتهم من تجمع الأمة على أنه إمام هدى، لكنهم قد ينتحلون بعض أئمة الدين تلبيسًا.

١٠- شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتها وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها.

الخلاصة:

إن مناهج أهل السنة والسلف الصالح تقوم على السنة والاتباع كما أمر الله ورسوله ﷺ، ومناهج أهل الأهواء تقوم على البدعة والفرقة والابتداع واتباع السبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الإمامة العظمى في الإسلام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فأوصيكم- أيها الناس- ونفسي بتقوى الله سبحانه؛ فهي العُدّة في الأمور، والزاد إذا بُعْثِر ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون.

عباد الله، إن الشريعة الإسلامية الغَرَّاء هي الشريعة الخاتِمة التي أكمل الله بها الدين وأتمّ بها النعمة، وجعلها صالحة للخلافة في الأرض في كل زمان ومكان، لا تَبْلَى نصوصُها، ولا تهتزّ قواعدُها، ولأجل ذا صارت هي الأُسّ في حفظ الضرورات الخمس في الحياة البشرية، وهي الدين والنفس والعِرض والعقل والمال، فهي شريعة جُلّى تسعى لتحصيل المصالح وجلبها لتلك الضرورات، كما أنها في الوقت نفسه تقوم بالدفع قبل الرفع لأي مفسدة تخل بضرورة من الضرورات، بَلْهَ الضرورات الخمس برُمَّتها.

ولما كانت أمور الناس ومصالحهم تدور رَحَاها حول تلك الضرورات الخمس، وتحصيل مصالحها، ودَرْء مفاسدها، وحراسة ذلك وسياسته؛ كان لزامًا أن يكون للمجتمع المسلم رأس يجتمعون عليه، ويضعون كفوفهم على كفّه؛ ليقيم الحق فيهم، ويزهق الباطل، ويسُوسَهم على مِلّة الإسلام، يجتمعون بالبيعة الشرعية على إمامته وولايته أمرهم، وهذا ما يُسمَّى في الشريعة بالإمامة العُظْمَى، التي أجمع العلماء قاطبةً على أنها واجبة، خلافًا لبعض الخوارج والمعتزلة.

والمصلحة في تَنْصِيب الإمام ظاهرة جَليّة، لا تحتاج إلى كبير تأمّل وبحث؛ لأنه لا يمكن أن يستقيم أمر الناس، ويصلح حالهم، ويُحْفَظ الخير لهم، ويُدْرَء الشر عنهم إلا بها، بل إنها مطلب شرعي ديني قبل أن تكون مطلبًا سياسيًا دنيويًا؛ لأن قيامها وقيام الطاعة لها من طاعة الله ورسوله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة يُقاتَل مِن ورائه، ويُتَّقَى به، فإن أمر بتقوى الله وعَدَل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإنّ عليه مِنْهُ» رواه مسلم.

إن لم يكن مثل هذا الأمر- عباد الله- فليس للناس إلا الفوضى، وغَلَبة الأهواء، وتقاذف الفتن من كل جانب، والتعدّي على الدين والأنفس والعقول والأعراض والأموال، ولقد صدق القائل الأول:

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سَرَاةَ لهم
ولا سَرَاةَ إذا جُهّالُهم سادُوا

ولذا فإنّ الأمم مع تعاقب الأزمان لا تَدَعُ واقعها سَبَهْلَلاً دونما سلطان برأسها، فلقد قال النبي: «إن بني إسرائيل كانت تَسُوسُهم الأنبياء، كلّما هلك نبي خَلَفَه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وإنه سيكون خلفاء فيكثرون»، قال: فما تأمرنا؟ قال: «فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعله الله عزّ وجلّ لهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» أخرجاه في الصحيحين.

ومن هنا يتّضح لنا- عباد الله- حاجة الناس إلى سلطان يسُوسُهم بشرعة الله ومنهاجه؛ حماية

لهم من الفتن والأهواء أن تعتريهم، ولقد صدق الإمام أحمد بن حنبل حين قال: «الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس».

أيها الناس، لقد أكرم الله أمة الإسلام من بين سائر الأمم بأن جعلها وسطًا بينهم عَدْلاً خيارًا، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وإن من وسطية هذه الأمة وعدلها نظرتها للإمامة والولاية، حيث تراها عهدًا واجبًا بين السلطان وعموم المسلمين، وهذا العهد يقتضي السمع والطاعة في المَنْشَط والمَكْرَه والعُسْر واليُسْر ما لم يكن في معصية أو منكر وإلا فلا. لتكون الأمة وسطًا بين بعض أهل الجاهلية الذين يظنّون أنّ مخالفة السلطان وعدم الانقياد له فضيلة ورِفْعة، وأن السمع والطاعة والانقياد دُونٌ وذِلّة ومهانة ونقصٌ في الرجولة والعلم والكرامة، وبين بعض أهل الكتاب الذين يغالون في السمع والطاعة حتى في معصية الله سبحانه، كما في حديث عدي بن حاتم قال: سمعت النبي يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]. فقلت: إنا لسنا نعبدهم! فقال: «أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك هي عبادتهم» رواه أحمد والترمذي.

كما أن منهج أهل الحديث والحق في الإسلام بين سائر الفرق هو المنهج الوسط في الإمامة والولاية، خلافًا لمن ذهب إلى تكفير الأئمة، والخروج عليهم، وعدم السمع والطاعة بالمعروف لهم، وخلافًا لمن يرى المغالاة فيهم، ويجعلهم معصومين من الخطأ والنقيصة، والحق كل الحق، والعدل كل العدل، ما كان عليه أئمة الهدى والدين من السلف الصالح والتابعين الذين قالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير. ديدنهم في ذلك سنة المصطفى في السمع والطاعة والألفة والاجتماع، لا في المعصية والعناد والفرقة والابتداع، لعلمهم الجازم بأن النبي بيّن أن من خرج من السلطان شِبْرًا مات مِيتة جاهلية، كما في الصحيحين وغيرهما.

ومن هذا المنطلق- عباد الله- عُنِيَ السلف الصالح بمسألة الإمامة، وجعلوها من

إعداد فضيلة الشيخ
سعود بن ابراهيم الشريم
إمام الحرم المكي

جملة أبواب الاعتقاد وأصول الدين، وأكثروا الحديث عنها، وفصلّوا فيها القول، وما ذاك إلا لعظم شأنها وخطورة سوء الفهم تجاهها، وأن مبدأ التعامل مبني على العلم والأثر لا على العاطفة والنظر؛ لما يترتب على ذلك من مراعاة المصالح والمفاسد العامة الطاغية على المفاسد والمصالح الخاصة، ولهذا بيّن أهل العلم حاجة الأمة إلى السلطان، ووجوب بيعته البيعة الشرعية، كما بيّنوا وجوب السمع والطاعة في غير معصية الله، عملاً بما جاء عن النبي أنه بعث جيشًا وأمَّرَ عليهم رجلاً فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها. فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها. فذكروا للنبي فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة»، وقال للآخرين: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف» رواه البخاري ومسلم.

وقد بيّن أهل العلم أيضًا حرمة الخروج على السلطان أو ملاقاته بالسيف، وأنه يجب على الرعيّة مَحْضُ النصح له؛ لقول النبي: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن لا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم» رواه أحمد. ولم يكتف أئمة العلم والهدى بمطلق النصح لولي الأمر، بل قيّدوا ذلك في السّر دون العلانية؛ درءًا للفتنة وخروجًا من التشهير والتعيير، لما رواه ابن أبي عاصم في كتاب السُّنّة مرفوعًا إلى النبي أنه قال: «من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا يُبْدِهِ علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه له». ولما جاء في الصحيحين في الذين قالوا لأسامة: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا أكون أول من أفتحه، وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميرًا على رجلين: أنت خير... الحديث. وقد نقل

الحافظ ابن حجر رحمه الله كلامًا عن معنى هذا الحديث: «وهو أن قصد أسامة بقوله: (قد كلمته سرًا دون أن أفتح بابًا)، أي باب الإنكار على الأئمة علانية؛ خشية أن تفترق الكلمة، ثم عرَّفهم أنه لا يُداهِن أحدًا، ولو كان أميرًا، بل ينصح له في السّر جهده» انتهى كلامه رحمه الله.

وقد نقل ابن عبد البر عن أيوب ابن القَرْيَة قال: «أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء والإخوان والسلطان، فمن استخفّ بالعلماء أفسد مروءته، ومن استخفّ بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخفّ بأحد».

ثم اعلموا- رحمكم الله- أن البيعة الشرعية فيها حقّان: أحدهما حق للإمام كما ذكرناه آنفًا، وأما الآخر فهو حق للرعية بإقامة شرع الله فيهم، ونشر الحق والعدل بينهم، والسعي في مصالحهم العامة والخاصة، وتدوين الدواوين ومراعاة المصالح المرسلة التي تعتري الناس بين الحين والآخر، ومنع الظلم والبغي والفساد، وما يسبّب الفرقة بين المسلمين.

وحاصل الأمر- عباد الله- أنّ استقامة الناس، واستقرار المجتمع، وحفظ الضرورات لا يكون إلا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر منا؛ لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩]، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره: «أن أولي الأمر هم أصحاب الأمر وذووه وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس».

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن ثَمَّةَ حقًا يجب على الرعية تجاه سلطانهم وولي أمرهم المبايَع بالبيعة الشرعية، متمثّلاً ذلكم الحق في محض الدعاء له بالتوفيق والسداد والصلاح للمسلمين؛ لأن في صلاحه صلاحًا للإسلام والمسلمين. وإنه ليخطئ من ظنّ أن الدعاء للسلطان مُجرّد تَزَلُّفٍ ومَذْقٍ يَشين بصاحبه، كلا بل هو ديانة واعتقاد بأهمية ذلكم وأثره في صلاح المسلمين. وقد أشار جملة من أئمة الدين إلى هذه المسألة من باب الديانة وتصحيح الفهم تجاه هذه المسألة، فقد ذكر الطحاوي رحمه الله في متن الاعتقاد عن الأئمة والولاة قوله: «وندعو لهم بالصلاح والمعافاة». وقد أخرج الخلاّل في كتاب السنة بسند صحيح عن الفُضَيل بن عياض أنه قال: «وددت أن الله عزّ وجلّ زاد في عمر هارون الرشيد»، وقد وجّه الإمام أحمد مقولة الفُضَيل هنا بأنها لما يُخاف من الشر الذين يكون بوفاة الإمام، فإذا ما جاء إمام آخر هَدَأَ الأمرُ وسَكَن. وقد تحدّث الإمام أحمد رحمه الله عن الخليفة المتوكّل قائلاً: «إني لأدعو الله له بالصلاح والعافية»، وقال: «لأنْ حَدَثَ به حَدَثٌ لتنتظرنّ ما يحل بالإسلام». وقد دعا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لسلطان زمانه بالتأييد والتسديد والزيادة في العلم. وكلام أهل العلم في هذا الباب متواطئ على القول باستحباب الدعاء لولاة الأمور بالتوفيق والصلاح والمعافاة دون مجازَفة، ومن أشهر من قال بذلك الطحاوي والفُضَيل وأحمد والبيهقي والبَرْبَهاري وابن قدامة والنووي وابن تيمية والحافظ العراقي والحافظ ابن حجر، وخلق كثير من العلماء وأئمة الدين.

وإنما نقول مثل هذا- عباد الله- لنؤكّد موقف أئمة الدين من أهل السنة والجماعة تجاه هذه المسألة، ولنصحّح بعض المفاهيم المشوّشَة في هذا الجانب من باب الديانة والالتزام بالحق ليس إلا، لاسيما في هذا الزمن الذي غاب فيه الوعي الديني فيما يخص حقوق الراعي والرعية، والذي قلَّ فيه الألفة والتناصر.

وجامع الأمر في هذا- عباد الله- هو قول النبي: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» الحديث رواه مسلم. والصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعاء على أحد التفسيرين.

اللهم صلِّ على محمد، وآله وصحبه وسلم.



من روائع الماضي

حكم بلا بينة

(نقلاً عن مجلة «المسلمون» العدد الأول ١٣٧١هـ - ١٩٥١م - يرد على ما كتبه سيد قطب في شأن بعض الصحابة)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيوشك تاريخ الإسلام أن يصبح لهوًا على الألسنة، ولغوًا في الصحف، ومرتعًا للظن المتسرع دون اليقين المتثبت، وهدفًا لكل متقحم على الحق بمثل جراءة الباطل، ومخاضة يخوض فيها كل من ملك لسانًا ينطق، أو عقلاً يفكر، أو قلمًا يخط، وإنما ابتلى زماننا بهذا لأسباب كثيرة:

الأستاذ الشيخ
محمود محمد شاكر
(رحمه الله)

أولها: أن العصر الذي نعيش فيه يُعجل الناس عن تحقيق معنى الدين نفسه في حقيقة قلوبهم.

وآخرها: أن المسلمين في زماننا بلغوا من العجز والقلة والهوان على أنفسهم مبلغًا مهَّد لشياطين الإنس والجن مسالك كثيرة إلى مقر الغرور في بعض الأفئدة، فسوّل لأصحابها فيما يسول أن فهموا الإسلام «فهمًا جديدًا»، فكان لهذه الكلمة سحرها حين مست مكان الغرور والكبرياء في نفوسهم، واحتملهم هذا الغرور على أن يسيئوا الظن بما يفهمون من ماضيهم، جله أو كله، وخيل إليهم سوء الظن أن ذلك هو طريق الحق لإحياء دين الله في نفوسهم وإقامة شريعته في أرضه، ثم خرج بهم مخرجًا أوقع في أوهامهم أنهم قادرون على أن يجددوا أمر هذا الدين، بمجرد النظرة الخاطفة المتعسفة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي تاريخ أسلافهم من المسلمين.

ولا أظنني أخطئ شيئًا في التقدير إذا زعمت أن هذه النابتة، لم يبتل الإسلام بمثلها قط، على كثرة ما انتابه من النابتات المتتابعة على مدى عصوره كلها ؛ في حال بأسه وسطوته، وفي حال ضعفه وفترته، وهي عندي أخطرها جميعًا وأخوفها على دين الله، لأنها نجمت في عصر قد حطم جميع القيم الإنسانية العتيقة، ودمر تراث الأخلاق التي فطر عليها ولد آدم في الآباد المتطاولة، ولا أسيئ الظن فأدعي أنهم يأتون ما يأتون عن عمد، بل أقول: إن وباء هذا العصر قد أصابهم منذ نقله الاستعمار إلى الأرض المسلمة، فَنُشِّئُوا فيه لا يكادون يحسون بالذي أصابهم من آفاته، فاتسم تفكيرهم من أجل ذلك بسمة التحطيم والتدمير، وسمة الغلو والجراءة، وسمة الإصرار على تحقيق معاني الغرور الإنساني في أعمال الإنسان، وأولها الفكر.

وقد تفشت في أهل الإسلام منذ زمن قريب فاشية شديدة الخطر على تاريخ الإسلام كله، بل على دين الله نفسه، نظرت متعجلة في دين ربها، وخطفت خطفة في تاريخ أسلافها، ثم انتزعت من ذلك كله حكمًا يدمغ المسلمين جميعًا منذ القرون الأولى من الهجرة، باطراح الدين واتباع الشهوات، فزعمت مثلاً: أن الإسلام لم يطبق ولم يعمل به إلا مدة رسول الله ﷺ، ومدة أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، ومدة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ثم مرج أمر الإسلام واضطرب!

والخطأ في مثل هذا الحكم الدامغ يكبر عن أن يسمى خطأ ؛ إنه الحالقة: حالقة الدين لا حالقة الشعر، كما قال رسول الله ﷺ ؛ تستأصل دين الصحابة والتابعين، وتستأصل أمانتهم في تبليغه، وتستأصل ما بذلوه في نشره في مشارق الأرض ومغاربها، وتستأصل تاريخهم، وتستأصل تاريخ الحياة الإسلامية كلها ثلاثة عشر قرنًا ! فيا لها من بلوى تستهلك دين امرئ إذا نطق بها، وتخسف بتقوى سامع إذا لم ينكرها، وردُّ مثل هذه المقالة، يوجب على منكرها أحد طريقين: إما أن يسرد على القائل بها تاريخ الإسلام كله بجميع تفاصيله، ويقف به على كُلِّ موضع منها، وهذا شيء لا يتيسر في كتاب واحد، فضلاً عن مقالة، فضلاً عن حديث، وإما أن يوقفه على فسادها في صريح العقل، ويبين له ما تفضي إليه من بَهْت أمة كاملة، بل أمم بأسرها، بشيء لا يستطيع عاقل أن يحتمل وزره في فكره وتقواه ودينه، وهذا هو أيسر الطريقين، وأقربهما إلى تصحيح المقاييس، وإلى إقامة التفكير على أصل واضح وثيق.

وكلمة «الإسلام» كلمة شاملة لدين الله كله، وإذا دخلت في حكم قاطع كهذا الحكم «إن الإسلام لم يطبق إلا مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر»، صار حكمًا شاملاً بطبيعته، فإذا ألقي إلى سامع، لم يجد عندئذ مناصًا في العقل ولا في اللغة ولا في البيان، من تعميم الحكم في كل ما يتناوله لفظ «الإسلام»، فإذا استمعه سامع كأهل زماننا الذين وصفنا قبل، كان هذا الحكم ظلاً كثيفًا قاتمًا كئيبًا يلقي على العصور الأولى كلها من قتامه وكآبته، يدفع إلى الاستخفاف والتحقير والغلو في التهزؤ بأهل هذه العصور، والشك في أمورهم، ويعميه عن معرفة الحقائق، ويصرفه إلى البحث عن المثالب يتسرع إليها ويتقممها من كل كتاب ومن كل خبر، والناس أسرع شيء إلى سوء الظن، فإذا كان سوء الظن والثلب والتحقير مما يعينهم على نسبة القدرة والصلاح والعلم والفقه إلى أنفسهم فهم عندئذ أسرع إليه من السيل إلى الحَدُور (أي: الأرض المنحدرة)، وإذا كانت نسبة الصلاح والعلم إلى أنفسهم مدعاة إلى صرف أنظار الناس إليهم بالتسليم والتبجيل والإعجاب، فسوء الظن والثلب والتحقير، أسرع في عقولهم وألسنتهم من النار المتضرمة في الهشيم اليابس، وماذا بعد هذه البلوى، إلا أن يصبح تاريخ الأمة المسلمة منذ اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة (منذ قتل عمر) إلى يوم الناس هذا في سنة ١٣٧١هـ وقودًا لكلمة يزل بها لسان، ويتبجح بها صوت، وتستخفها أذن ؟ أي إنسان يرضى لنفسه هذه الظنة الجائحة، فضلاً عن إنسان عاقل، فضلاً عن مسلم، فضلاً عن مسلم يتقي الله، يرجو رحمته، ويخاف عذابه؟

قتل عمر وخلف أئمة الصحابة، فعاشوا زمن عثمان، وزمن علي، وزمن معاوية رضي الله عنهم، وبقيت منهم بقية في عصر الأوائل من بني أمية، ثم خلفهم الذين اتبعوهم بإحسان من علماء الأمة وفقهائها وأهل دينها، وهم متوافرون يومئذ إلى أوائل عصر بني العباس، وكانوا هم علماء الأمة، وورثة النبوة، القائمون ببث دين الله في الأرض، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، المبلغون عن نبي الله ورسوله، وعن أصحابه هذا الدين إلى الناس، وبهم بلَّغ المسلمون هذا الأمر كله، وبما بلغونا من أمر الدين قامت حجة الله علينا، وإلى ما بلغوا كان مرجع أئمة المسلمين وفقهائهم وعلمائهم طول هذه القرون، ولولاهم، ولولا ما بلغوا لدرست سنة رسول الله ﷺ، ولذهب الفقه، ولفقد الناس الحجة والبرهان في دينهم، ولما وجدوا وسيلة لتحكيم الله وتحكيم رسوله في شيء مما اختلف فيه من أمر الدين، أفيمكن في العقل أن يوصف العصر الذي كان فيه هؤلاء الأمناء على دين ربهم، بأنه عصر لم يطبق فيه الإسلام ؟! وأين غابوا جميعًا إذا كان الإسلام لم يطبق في زمانهم ؟ ولو شهدوا، وصحت هذه الكلمة على زمانهم، فكيف يؤتمنون على ما بلغوا من أمر الدين؟

بل إلى أي شيء يحتكم قائل هذه الكلمة في الحكم على عَصْرهم ؟ أليس يحتكم ويرجعُ في الحكْم عليهم إلى ما بَلغَه هو من دين الله الذي بلّغوه هُمْ إليه ؟ وأنى له أن يعرف الإسلام إلا بما عَرَّفوه هُمْ له ولمن سبقه من أمة محمد ﷺ ؟ بل كيف يُعْقَل أنْ يبلِّغوا هذا الشيء الذي يستند إليه هذا القائل، ويكونونَ هم أوّلَ الناقضين والهادمين بإغفالهم إقامته، بل بعملهم على إقامة خلافه ؟

أفي العَقْل شيءُ بعد ذلك هو أَفْسَدُ معنى ومدخلاً ومخرجًا من هذه الكلمة الجائرة، من هذا الحكم المستأصل لدين هؤلاء الناس وعلمهم وأمانتهم ؟ كبرت كلمة وساء حكمًا.

وأحبُّ أن أزيد الأسئلة: ما هو هذا الإسلام الذي لم يطبق: أكفروا بأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ؟ أتركوا صلاتهم وأضاعوها وسهوا عنها؟ أمنعوا زكاتهم واحتجنوها (أي خزنوها) فلم يؤدوا حق الله عليهم ؟ أتركوا شهر صيامهم فأفطروه ؟ أأبوْا أن يحجوا إلى بيت ربهم قانتين مسبحين مكبرين ؟ أعتزلوا الجهادَ بأموالهم وأنفسهم رغبة عنه وحرصًا على الحياة ؟! أأغفلوا أدبَ الله لهم وأدب رسوله ؟ أنقضوا عهدَ الله فخانوا الأمانة وبغوْا في الأرض ؟ أعطَّلوا أحكامَ الله وفرضوا على الناس أحكامًا من عند أنفسهم ؟ أشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله ؟ أأبطلوا الحدود ونصروا الخارجين عليها والمعتدين ؟ أأعرضوا بقلوبهم ووجوههم عن كل ما تضمَّنَه كتابُ الله، وما احتوته سُنَّة رسوله، وعادوا في جاهلية لا يعرفُ فيها لله دين، ولا يطاعُ له فيها أمرٌ، ولا ينتهى فيها عن منكر، ولا يؤتى فيها معروف ؟ أرتكَسُوا هم والأمة كلها قرنًا من بعد قرنٍ في تعطيل الإسلام في أحكامهم، وفي أنفسهم، وفي أبنائهم، وفي الذين دخلوا في هذا الدين حتى شمل ما بين الهند شرقًا إلى المغرب الأقصى غربًا، ومن حدود الروم شمالاً إلى أقصى الأرض جنوبًا؟ أيّ عاقل يستطيع أن يقول: نعم، في جوابِ سؤالٍ واحدٍ من هذه الأسئلة، فضلاً عنها كلها؟

ولو غلغَل المرءُ قليلاً فسأل نفسه: أمن الممكن لأمة تنقُض دينها هذا النقضَ، الذي استوجبَ ذلك الحكم، أن تفتح الأرضين كلها، وتحدث فيها أكبر تغيير حدث في تاريخ الجنس البشري كله: تتغير بهم ألسنة الناس إلى العربية، ودينهم إلى الإسلام، وتنابُذُهم إلى الألفة، وتداعيهم باسم العصبية والجنسية، إلى شيء واحدٍ هو جماعة المسلمين، ويقومُ هذا الأمرُ في الأرض ثلاثة عشر قرنًا، مع شدة ما انتابَ المسلمين على مرّ القرون من النوائب، إلى أن كانت النائبة الكبرى في هذا العصر، وهي نائبة الاستعمار، ويَظَلُّ مع ذلك هذا الرباطُ الوثيق مشدودًا، لا ينحلُّ من ناحية، إلاَّ تداركته آلاف الأسباب من هذا التراث من نواح أخرى ؟ أكان ممكنًا لهؤلاء الذين خانوا أمانة الله أن يبلغوا هذا المبلغ ؟ اللهم اشهد، فإنها كلمةٌ لو صحت لأزالتْ العقول من مستقرّها؟ وصدق الله رَسُولَهُ والمؤمنين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وما من حرفٍ من هذه البشارة إلا أتمه الله على محمد وأصحابه وتابعيهم، إذ كانوا خير أمةٍ أخرجتْ للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله في سرّهم وعلانيتهم.

ومن الحق على من وسوسَ في قلبه هذا الحكم الشامل: أن الإسلام لم يطبَّق إلا مدّةَ رسول الله ﷺ، ومدة أبي بكر وعمر، أن يسأل نفسه: بم يصحُّ مثل هذا الحكم ؟

إن بديهة العقل تجيبه بأنه لا يسوغُ له أن يحكم على عصور كاملة بحكم شامل، إلا بدلائل بينة المعاني صحيحة

الإسلام جميعًا في كل أرض، وأن تكون شاملةً أيضًا لكل ما يكون به إسلام الناس إسلامًا، وأن يكون ما يدّعي المدّعي أنه أبْطِلَ، أمرًا من أمور الإسلام التي لم يختلف عليها المجتهدون من العلماء والفقهاء، وأن يكون هذا الإبطال جاريًا مجرى الشريعة، ومأمورة به كلُّ جماعة يشملها الإسلام، فإذا فقد الحكم هذا الشرط، فإنما هو تحكُّمٌ محضٌ وبهتانٌ خالصٌ، ولست أظنُّ في العالم كله إنسانًا يوصف بالمعرفة يستطيع أن يؤيّد هذا الحكم، بمثل هذه الدلائل، على مثل هذا الشرط، مهما أوتي من العلم، ومن التتبع، ومن سوء النية، ومن براعة التخلُّص، ومن تمام القدرة على إظهار الباطل في ثياب مزوَّرة من الحق.

وإلا فإن هذا الحكم الشامل، مظلمةٌ جائرة مُبيرة لأهل العصور الأولى من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة، وقادحٌ في دينهم وأمانتهم، وجائحة طاغيةٌ تزيل كل ثقة بهم وبتاريخهم وأعمالهم، وناقضٌ مُدَمّر ينقضُ كل ما يشهدُ به التاريخ الذي كنا نحنُ آخرَ خلف له في هذا العَصْر.

كلا، بل أتجاوز ولا أطالب من يقضي بهذا القضاء، أن يأتي بكل هذا الشمول بل أقتصر فأدعوه إلى أن يأتي بقضية مفردة عن الإسلام، تجتمع لها هذه الشروط، مصححة صادقة خالية من التوهم والغلو، وأنا على يقين من أن أحدًا لا يطيق أن يفعل، وأن الأمر أكبر من أن يحيط به بيان مبين وعلم عالم، وإنما يؤتى الغارز فكره في هذه الضلالة المتحكمة باتخاذه الحادثة الواحدة المجردة من الاستقصاء والشمول، ومن الاختلاف في أمرها، ومن شمول العمل بها وإنفاذها في جماعات المسلمين - أساسًا لاستقصاء مكذوب وشمول متوهّم.

ثم أتجاوز مرة أخرى وألتمس لهذا الحكم الشامل مخرجًا آخر، أزعم فيه أن العربية والبيان والعقل تبيح مجتمعة أن يكون المراد بالإسلام في هذا الحكم جزءًا من الإسلام، وأن يكون المراد بالذين لم يطبقوه فئة واحدة من المسلمين: فكيف يمكن أن يصح؟

إن المدعي لمثله مطالب عندئذ أن يستقصي هذا الجزء المعطل في تاريخ العصور التي يشملها حكمها، يومًا بعد يوم، وحادثة بعد حادثة، وأن يدل دلالة لا يأتيها الشك أن ذلك هو الذي جرى به العمل في كل جماعة من جماعات المسلمين؛ وأن يأتي بالبرهان على أن هذه الفئة أصرت على أن تجعل هذا الجزء ديدنها في كل زمان ومكان؛ وأنها استطاعت أن تجعل ما خالف حكم الله إلزامًا عامًا للناس كلهم بتشريع من عند أنفسهم يلزم الناس جميعًا العمل به والطاعة له. وهذه هي الشروط التي يقضي محض العقل أنها هي وحدها تبيح لامرئ أن ينطق بحكم شامل كهذا الحكم، فإذا لم تتم له هذه الشروط، فما هو إلا التعسف الغليظ الذي لا يبصر وجه الحق إلاّ في ظلمات من الباطل، إن صح وأمكن أن يكون التعسف قادرًا عندئذٍ على أن يبصر.

ثم أتجاوز مرة ثالثة، فأزعم أن من الممكن أن نلتمس شيئًا من الإسلام لا يدخله الخلاف، قد أطبق الخلفاء جميعًا منذ قتل عمر رضي الله عنه على تعطيله فما الشروط اللازمة لمثل هذا الممكن؟

ينبغي أن يثبت المرء أولاً أن الخليفة قادر على أن يأمر علماء الإسلام وفقهاءهم ومفتيهم وأمراءهم وعامة الناس منهم بهذا الذي يريد تعطيله، وأنهم إن فعل أطاعوه جميعًا وعملوا بما أمر، وأن هذا الشيء من الإسلام قد عطل تمام التعطيل في الحياة الإسلامية كلها في زمنه، ومن البين أن الخليفة رجل من المسلمين، لا يملك أن يشرع للناس شرعًا يعمل به الفقهاء والقضاة والمفتون، ويخضع له عامة الناس علانية ويعملون به في أنفسهم سرًا، وإذا بطل هذا الشرط، بطل الحكم كله، ولم يبق إلا أن الخليفة ربما قدر على أن يعطل حكمًا من أحكام الله، فيما يمكن أن تناله يده، وهو في بيته أو قصره أو بلدته، دون سائر بلاد المسلمين، وأن هذا الحكم لا يلزم أحدًا من القضاة ولا الأمراء أن يفعلوا فعله، لأنه لا يملك أن يشرع لهم ما لم يأذن به الله، وأنا أقطع بأن تاريخ الإسلام كله ليس فيه حادثة واحدة: استطاع خليفة أن يأمر قضاة المسلمين وعلماءهم وفقهاءهم بأمر يخالف كتاب الله وسنة نبيه، فأطاعته الأمة كلها أو بعضها، وعملت بما أراد، وقضت على الناس بقضائه دون قضاء الله.

وينبغي أن يثبت المرء ثانيًا أن الخليفة - أو غير الخليفة من أمراء المسلمين في بلدان الأرض المسلمة - قد استطاع أن يجعل هذا التعطيل، بهذه الشروط، عملاً متوارثًا في جيل بعد جيل، وأن الأمة قد اتفقت على قبول تعطيله أبدًا وأن هذا هو الذي جرى به العمل بلا ريبة ولا ادعاء ولا توهم ولا اعتساف، وأنا أقطع أيضًا بأن هذا شيء لم يكن قط إلا بعد أن ضرب الاستعمار على هذه الأمة الإسلامية حضارته وثقافته ولون تفكيره.

فهذه الكلمة الباغية الجائرة منقوضة في شمولها وفي تخصيصها، ولا يستطيع منصف بعض الإنصاف أن يجد لها في العقل مخرجًا، ولا في التاريخ شاهدًا، ولا في الفرض المطلق وسيلة إلى تحقيق طرف منها، وهي لا تصح في أحد محمليها إلا كانت حكمًا على عامة الصحابة والتابعين والفقهاء وخاصتهم بالكفر البواح، فلينظر امرؤ أين يُنْزِل عقله؟ وفيم يورِّط دينه وتقواه؟ وإلى أي قرار تهوى به كلمة تعجب هواه ويستخفها لسانه، ويتغذى بها غروره بنفسه؟

ولم أجعل همي في هذه الكلمات أن أسرد الحجج التي يحتج بها القائلون بهذا الحكم ولا أن أروى ما يعدونه مؤيدًا لهم من روايات التاريخ والكتب، فإني إن فعلت كان لزامًا عليَّ أن أقدم نفس هذه المقدمة في شروط الأحكام، ومقدمة أخرى في تمييز ما يعد تاريخًا، ومقدمة ثالثة في انتزاع الحكم العام في الحادثة أو الحوادث، وهل هو صحيح في نفسه أو غير صحيح، ثم آخذها واحدة واحدة فأبين وجه تأويلها أو فهمها أو ردها أو تجريحها إلى آخر ما ينبغي لكل من يتصدى للأحكام على أفراد في التاريخ، فما ظنك بأمم بأسرها في تاريخ كامل كتاريخ العصور الإسلامية أولها وآخرها، وكل ما رميت إليه أن أبين فساد مثل هذا الحكم الشامل، وأسباب فساده، وأن أكشف عن موضع المخافة وثقل الوزر، وجناية التسرع في تعميم الأحكام بلا بينة من العقل أو الحجة أو التاريخ، وأرجو أن يتاح لي أن أتناوله مرة أخرى بالبيان والتفصيل حتى يتجلى فيه وجه الحق.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

عقيدة الرجعة عند اليهود والرافضة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمن العقائد التي يتفق فيها الرافضة مع اليهود: عقيدة الرجعة، ويقصد بها رجعة بعض الأموات إلى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة، وفي هذا المقال نتحدث عن:

١- عقيدة الرجعة عند اليهود.
٢- عقيدة الرجعة عند الرافضة.
٣- وجه الشبه بين العقيدتين.
٤- الرد على المعتقد.

أولاً: الرجعة عند اليهود:

تعتبر عقيدة الرجعة من أصول العقائد عند اليهود، وتنقسم عقيدة الرجعة عند اليهود إلى:

١- رجعة بعض الأموات في زمن موسى عليه السلام.
٢- رجعة بعض الأموات من اليهود في زمن المسيح الدجال.
٣- قدرة الأنبياء والحاخامات على إرجاع من شاء إلى الحياة.

ونسوق بعضًا من نصوص أسفار اليهود وتلمودهم التي تبين ذلك المعتقد:

أ- جاء في الإصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال: «وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظامًا، وأمرني عليها، وإذا هي كثيرة جدًا على وجه البقعة ويابسة جدًا، فقال: يا ابن آدم، ما هذه العظام؟ فقلت: يا سيد، الرب أنت تعلم، فقال: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب هكذا، قال السيد الرب لهذه العظام: هاأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبًا وأكسوكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم روحًا، فتحيون وتعلمون أني الرب...».

وهذا النص يوضح تنبؤات حزقيال، ويبين كيف تجتمع العظام ثم تكسى باللحم وتخرج من قبورها.

ب- جاء في التلمود: «إن أحد الحاخامات قتل حاخامًا آخر في حالة سكر، ثم أتى بمعجزة فأعاد الحاخام القتيل إلى الحياة». [التلمود تاريخه وتعاليمه ص٨٧].

جـ- هذا فضلاً عن قدرة الربانيين عندهم على إعادة الحياة إلى الذين ماتوا، ففي التلمود: «إن ربانيًا قطع رأس أفعى بسنه ولها ثانية بحَجرٍ فرجعت إليها الحياة، بل إنه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التي ماتت فتعود إليها الحياة وتطير ثانيه».

مما سبق يتضح رسوخ عقيدة الرجعة عند اليهود، وهذا ما توضحه أسفارهم ويؤكده تلمودهم.

ثانياً: الرجعة عند الرافضة:

والرجعة عند الرافضة بينها محمد بن الحسن الحر في كتابه «الإيقاظ من الهجعة في ثبات الرجعة» فيقول: «اعلم أن الرجعة هي الحياة بعد الموت قبل يوم القيامة...».

ويقول الأحسائي في كتاب «الرجعة» (ص١١): «اعلم أن الرجعة سر من أسرار الله، والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب، والمراد بها رجوع الأئمة - عليهم السلام - وشيعتهم وأعدائهم، ممن لم يهلكهم الله في الدنيا بالعذاب، فإن من أهلكه الله في الدنيا بالعذاب لا يرجع إلى الدنيا».

٢- ويؤكد هذا المعاصرون منهم؛ فيقول إبراهيم الموسوي: «الرجعة عبارة عن حشر قوم عند قيام القائم الحجة ابن الحسن عليه السلام ممن تقدم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، وقوم من أعدائه ينتقم منهم وينالون بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته، وليبتلوا بالذل والحزن بما يشاهدونه من علو كلمته». [عقائد الإمامية الاثنى عشرية ٢/٢٢٨].

وقال محمد رضا المظفر: «عقيدتنا في الرجعة: أن الله تعالى يعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقًا ويذل فريقًا آخر..» [عقائد الإمامية ص١١٨].

ومن مجموع النصوص التي ساقها الرافضة في كتبهم يتبين أن هذا المعتقد يتلخص في:

١- إعادة أقوام للدنيا قبل يوم القيامة.
٢- لا تكون الرجعة إلا لمن بلغ درجة عالية من الإيمان، أو بلغ درجة عالية من الفساد.

بعذاب، وإنما تكون لمن لم يهلكهم الله في الدنيا.

وعقيدة الرجعة عليها إجماع الرافضة، يقول المفيد في أوائل المقالات (ص٨٩): «وقد جاء القرآن بصحة ذلك المعتقد، وتظاهرت به الأخبار، والإمامية بأجمعها عليه إلا الشذاذ منهم»، ويقصد بقوله: قد جاء القرآن بها قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وهم يؤولون بعض الآيات في القرآن كشأن فرق الضلال لتناسب تلك العقيدة، من ذلك قول القمي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، «العامة تقول إلى معاد يوم القيامة، وأما الخاصة فيرون أنها الرجعة...» [تفسير القمي ٢/١٧٠].

وقوله في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾، ذلك في الرجعة أي أحد الإحياءين فيها والآخر يوم القيامة، وإحدى الإماتتين في الدنيا، والأخرى في الرجعة». [تفسير القمي ٢/٢٥٦].

والروايات التي أوردها الرافضة في عقيدة الرجعة منها ما يدل على رجوع الأنبياء، ومنها ما يدل على رجوع بعض الأئمة، ومنها ما يدل على رجوع بعض الصحابة بهدف تعذيبهم، ومنها ما يدل على مقدرة الأئمة على إعادة الحياة لبعض الأموات.

أما رجعة الأنبياء، فقد روى المجلسي عن علي بن الحسين عن أبيه إلى عطية الأبزاري قال: «طاف رسول الله ﷺ بالكعبة فإذا آدم عليه السلام بحذاء الركن اليماني، فسلم عليه رسول الله ﷺ، ثم انتهى إلى الحجر، فإذا نوح عليه السلام بحذاء رجل طويل فسلم عليه رسول الله ﷺ». [بحار الأنوار ٢٧/٣٠٤].

وفي بصائر الدرجات: «عن الحسين بن علي عن أبي الحسن الرضا، قال: «رأيت رسول الله ﷺ هاهنا والتزمته». [بصائر الدرجات ص٢٩٤].

فلا تعجب أخي عندما تسمع من بعض المتصوفة أنهم رأوا رسول الله ﷺ يقظةً واجتمع بهم، فقد تسرب إليهم هذا المعتقد من الرافضة التي أخذته من اليهودية، فالعلاقة بين الثلاثة واضحة بينة في ذلك المعتقد.

وأما رجعة بعض أئمتهم، ففي بصائر الدرجات (ص٢٩٦)، عن سماعة، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده فقال: أتحب أن ترى أبا عبد الله عليه السلام؟ فقال: وددت والله، فقال: قم وادخل ذلك البيت فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد».

وأما رجعة بعض الصحابة بهدف تعذيبهم قبل خروج مهديهم المنتظر، فأبو بكر وعمر يخرجان من قبريهما في كل موسم حج ليرجمهما الأئمة عند الجمرات، وأما معاوية رضي الله عنه فقد خرج من قبره وفي عنقه سلسلة وسأل أبا جعفر أن يسقيه، فأبى أن يسقيه». [بصائر الدرجات ص٣٠٥].

إعداد
أسامة سليمان

ثالثا: وجه الشبه بين العقيدتين:

والمتأمل في عقيدة الرجعة عند الرافضة واليهود يجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بين الفرقتين في بعض النقاط منها:

١- الاتفاق بينهما في وقت الرجعة، فوقت الرجعة عند اليهود هو خروج المسيح المنتظر، ووقت الرجعة عند الرافضة هو خروج المهدي المنتظر.

٢- الاتفاق بينهما في الهدف من الرجعة، فالرجعة عند اليهود تهدف إلى الانضمام إلى جيش المسيح المنتظر ونصرته، وهدف الرجعة عند الرافضة هو الانضمام لجيش المهدي المنتظر ونصرته على أعدائه.

٣- الاتفاق بينهما على مقدرة بعض البشر على إرجاع الأموات، فعلى حين يرى اليهود قدرة أنبيائهم وحاخاماتهم على إحياء الأموات، يرى الرافضة أن ذلك ثابت لأئمتهم ولا يخفى تسرب معتقد الرجعة إلى الرافضة من اليهودية عن طريق ابن عبد الله بن سبأ «ابن السوداء»، الذي نادى برجعة النبي ﷺ ثم برجعة علي بن أبي طالب، قال المقريزي في المواعظ والاعتبار (٢/٣٥٦): «إن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي رضي الله عنه وأحدث القول برجعة علي بعد موته إلى الدنيا، وبرجعة الرسول ﷺ أيضًا».

رابعًا: الرد على معتقد الرجعة:

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على بطلان ذلك المعتقد، ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك قول الله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وقوله سبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، والنصوص السابقة تبين أنه لا رجعة لأحد مات إلا بعثه يوم القيامة، وقوله سبحانه ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يبين ذلك ويؤكده، وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على بطلان عقيدة الرجعة، كما أن العقل الصحيح يرفض ذلك المعتقد الفاسد، إذ ما معنى إخراج الصحابة الأطهار الأبرار لتعذيبهم في الدنيا ثم إعادة العذاب عليهم في الآخرة، أليس ذلك من الظلم البين لأناس أثنى الله عليهم في كتابه واصطفاهم لصحبة نبيه، فما الجرم الذي ارتكبوه لإخراجهم من قبورهم قبل يوم القيامة لتعذيبهم، هل يقبل ذلك عاقل، أم أنه الهوى، ألا لعنة الله على الظالمين.

سلُّ السيوف والحِراب لصد عدوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لقد خرج علينا طغام لئام، يطعنون في السادة الأسلاف الأعلام، مصابيح الدجى ومنارات الهدى حب خير الورى سيد الأنام، الذي قال عنهم- صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» [أخرجه البخاري ح(٣٣٧٨)، ومسلم ح(٤٦٠١)].

وقال عنهم- ﷺ-: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ» [أخرجه البخاري ح (٣٣٩٧)، ومسلم ح (٤٦١٠).].

وقال عنهم الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- هم: (بَرْكُ الإِسْلاَمِ وَعِصَابَةُ الإِيمَانِ، وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ، وَجُنْدُ الرَّحْمَنِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُهُ ﷺ، أَلْيَنُ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، وَأَحْسَنُهَا بَيَانًا، وَأَصْدَقُهَا إِيمَانًا، وَأَعَمُّهَا نَصِيحَةً، وَأَقْرَبُهَا إِلَى اللَّهِ وَسِيلَةً) (إعلام الموقعين عن رب العالمين) (١٢/١).

فأخذ هؤلاء المرتزقة يطعنون في الصحابة الكرام، السادة الأعلام، ومن بينهم سيف من سيوف الله بتار، أوغل سيوفه وحرابه في صدور الأشرار، من المشركين والكفار، سيف الله المسلول خالد بن الوليد- رضي الله تعالى عنه-.

قالوا - ويا سوأة ما قالوا: مجرم حرب يعشق النساء، أمر بإبادة الأسرى من المسلمين وتبرأ منه الرسول والأصحاب، يقتل قادة الجيوش، وزعماء القبائل ويغتصب النساء ؛ متحدياً أمر الخليفة أبي بكر. طالب عمر برجمه وعاد. ليكتفي بعزله بعد توليه الخلافة بمشورة الأصحاب، رفض الصحابة الحرب تحت قيادته واعتزلوه نادمين على جرائمه، كان قاسياً على الإسلام والمسلمين !!! هكذا افتروا فتباً لهم.

بادئ ذي بدء: أصدر صدّ ذا العدوان ببيان إمام أهل السنة والقرآن، ليكون لذا العويّر- ومن على شاكلته- برهانًا.

وهذا نَصُّ كلام إمَامنا أَحْمَد- رحمه الله تعالى- فِيمَنْ طَعَنَ عَلَى الأصحاب- رضي الله عنهم جميعاً- رغم أنوف الشيعة الروافض الحُقّاد:(وَنَصَّ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ طَعَنَ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَى السُّلْطَانِ عُقُوبَتُهُ، وَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، بَلْ يُعَاقِبَهُ وَيَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلاَّ أَعَادَ الْعُقُوبَةَ). (إعلام الموقعين عن رب العالمين) (٣٣/٦).

تعريف الصحابي

قال أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري- رحمه الله تعالى-: «وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيّ ﷺ أَوْ رَآهُ مِنْ المُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابه». وعزا الحافظ ابن حجر- رحمه الله- هذا القول إلي الإمام أحمد- رحمه الله- والجمهور من المحدثين، وعزاه أيضاً إلي شيخ الإمام البخاري الإمام علي بن المديني- رحمه الله.انظر (فتح الباري) (٣/٧).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في «الإصابة» (١٠/١): «وأصح ما وقفت عليه من ذلك، أن الصحابي من لقي النبي- صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: مؤمناً به، ومات على الإسلام».

ذكر طرف مما جاء في وصفهم- رضي الله عنهم:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن: «إنِ اللّه جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، خَصَّ نبيه محمداً ﷺ، بصحابةٍ آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم اللّه في كتابه فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]. قاموا بمعالم الدين، وناصحوا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء اللّه، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل اللّهُ بهم الشرك، وأزال رؤوسه، ومحا دعائمه، وصارت كلمة اللّه العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة للّه أولياء، وكانوا بعد الموت أحياءً، وكانوا لعباد الله نُصَحَاءً، رحلوا إلى الأخرى قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بَعْدُ فيها».

ومَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ كَانَ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالاً، قَوْمٌ اخْتَارَهُمْ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوا آثَارَهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَحْرِمَ اللَّهُ أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا الصَّوَابَ فِي أَحْكَامِهِ وَيُوَفِّقَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ». (إعلام الموقعين عن رب العالمين) للعلامة ابن القيم- رحمه الله-: (١٢٢/٤).

وعن الحسن البصري- رحمه الله- لما سأله بعض القوم فقالوا: «أخبرنا عن صفة أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستفادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمأت هواجرهم، ونحلت أجسامهم واستحقوا بسخط المخلوقين رضى الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في

الشيعة الروافض على الأصحاب رضي الله عنهم أجمعين

إعداد
ايمن دياب

القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين. حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم». (حلية الأولياء- أبو نُعيم الأصبهاني (٢/ ١٥٠).

ويقول العلامة ابن القيم- رحمه الله- عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم: «أن أحداً ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته ؟! وَحَقِيقٌ بِمَنْ كَانَتْ آرَاؤُهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرًا مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّأْيُ الصَّادِرُ مِنْ قُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ نُورًا وَإِيمَانًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَفَهْمًا عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَصِيحَةً لِلْأُمَّةِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِمْ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَهُمْ يَنْقُلُونَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ غَضًّا طَرِيًّا».(إعلام الموقعين عن رب العالمين.

أدلة عدالة الصحابة (رضي الله عنهم) من الكتاب والسنة

وقال تعالي: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الإمام مالك- رحمه الله-: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا في ذلك، فإن الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ». (الاستعاب).

وفي قوله تعالي: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. روى الإمام مسلم في «صحيحه» ح (٣٠٢٢) قال: حَدَّثَنَا يَحْيَي بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «قَالَتْ لِي عَائِشَةُ- رضي الله عنها- يَا ابْنَ أُخْتِي أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ».

الإجماع على عدالتهم

قال الحافظ الخطيب البغدادي- رحمه الله- في «الكفاية في علم الرواية» ص (٦٧): بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التى دلت على عدالة الصحابة، قال: (هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء).

وقال: ابن عبد البر في «الاستعاب»: «ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول».

وقال ابن كثير: «الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل».(الباعث الحثيث) ص (١٧٦) تحقيق العلامة أحمد شاكر- رحمه الله.

وقال ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف ذلك إلا شذوذ من المبتدعة». (الإصابة) (١/ ١٧).

وجوب اتباع الصحابة رضي الله عنهم

قال ابن القيم رحمه الله: «... فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا اسْتَحَقُّوا مَنْصِبَ الْإِمَامَةِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ بِكَوْنِهِمْ هُمْ السَّابِقِينَ، وَهَذِهِ صِفَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمْ إمَامًا لِلْمُتَّقِينَ كَمَا اسْتَوْجَبَ الرِّضْوَانَ وَالْجَنَّةَ...».

وفي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. قال: وَكُلٌّ مِنْ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إلَى اللَّهِ فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ، وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ.

وفي قَوْله تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ يَدْعُو إلَى اللَّهِ، وَمَنْ دَعَا إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ.

وفي قَوْله تَعَالَى: ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

وفي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ [محمد: ١٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿يَرفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. قال: إن الله تعالى شهد لهم بأنهم أوتوا الْعِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِذَا كَانُوا أُوتُوا هَذَا الْعِلْمَ كَانَ اتِّبَاعُهُمْ وَاجِبًا.

وفي قَوْله تَعَالَى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

شَهِدَ لَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ.

وفي قَوْله تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ: «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الصَّادِقِينَ، وَكُلُّ صَادِقٍ بَعْدَهُمْ فِيهِمْ يَأْتَمُّ فِي صِدْقِهِ، بَلْ حَقِيقَةُ صِدْقِهِ اتِّبَاعُهُ لَهُمْ وَكَوْنُهُ مَعَهُمْ».

وفي قَوْله تَعَالَى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أُمَّةً خِيَارًا عُدُولًا، هَذَا حَقِيقَةُ الْوَسَطِ، فَهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَعْدَلُهَا فِي أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وإراداتهم وَنِيَّاتِهِمْ، وَبِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلرُّسُلِ عَلَى أُمَمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ شَهَادَتَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ شُهَدَاؤُهُ، وَلِهَذَا نَوَّهَ بِهِمْ وَرَفَعَ ذِكْرَهُمْ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ.

وفي قَوْله تَعَالَى:﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ

إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. قال: فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ اجْتَبَاهُمْ، وَالاجْتِبَاءُ كَالاصْطِفَاءِ، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنْ «اجْتَبَى الشَّيْءَ يَجْتَبِيه» إِذَا ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَحَازَهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُمْ المجتبَونَ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُمْ أَهْلَهُ وَخَاصَّتَهُ وَصَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَلِهَذَا أَمَرَهُمْ تَعَالَى أَنْ يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ، فَيَبْذُلُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ، وَيُفْرِدُوهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَيَخْتَارُوهُ وَحْدَهُ إِلَهًا مَعْبُودًا مَحْبُوبًا عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ كَمَا اخْتَارَهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، فَيَتَّخِذُونَهُ وَحْدَهُ إِلَهَهُمْ وَمَعْبُودَهُمْ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَإِرَادَتِهِمْ، فَيُؤْثِرُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ عَلَى مَنْ سِوَاهُ كَمَا اتَّخَذَهُمْ عَبِيدَهُ، وَأَوْلِيَاءَهُ، وَأَحِبَّاءَهُ وَآثَرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى أَنْ يَسَّرَ عَلَيْهِمْ دِينَهُ غَايَةَ التَّيْسِيرِ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ حَرَجٍ أَلْبَتَّةَ لِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَنَانِهِ بِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِلُزُومِ مِلَّةِ إِمَامِ الْحُنَفَاءِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ إِفْرَادُهُ تَعَالَى وَحْدَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالإِنَابَةِ وَالتَّفْوِيضِ وَالاسْتِسْلَامِ ؛ فَيَكُونُ تَعَلُّقُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِهِ وَحْدَهُ لَا بِغَيْرِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ نَوَّهَ بِهِمْ وَسَمَّاهُمْ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَوْجَدَهُمْ اعْتِنَاءً بِهِمْ وَرِفْعَةً لِشَأْنِهِمْ، وَإِعْلَاءً لِقَدْرِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُشْهِدَ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ وَيَشْهَدُوا هُمْ عَلَى النَّاسِ ؛ فَيَكُونُونَ مَشْهُودًا لَهُمْ بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ شَاهِدِينَ عَلَى الْأُمَمِ بِقِيَامِ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَفِي قَوله ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي...» أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ﷺ أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنَهُ مُطْلَقًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْدِيمَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ.

وَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُمَا عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، خُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...» إلى أن قال- رحمه الله-: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- هُمْ سَادَاتُ الْأُمَّةِ، وَقُدْوَةُ الْأَئِمَّةِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَقَدْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ وَنِسْبَةُ مَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْعِلْمِ إِلَيْهِمْ كَنِسْبَتِهِمْ إِلَيْهِمْ فِي الْفَضْلِ وَالدِّينِ».

وقَال- رحمه الله-: «هَذَا إِلَى مَا خُصُّوا بِهِ مِنْ قُوَى الْأَذْهَانِ وَصَفَائِهَا، وَصِحَّتِهَا وَقُوَّةِ إِدْرَاكِهَا، وَكَمَالِهِ، وَكَثْرَةِ الْمُعَاوِنِ، وَقِلَّةِ الصَّارِفِ، وَقُرْبِ الْعَهْدِ بِنُورِ النُّبُوَّةِ، وَالتَّلَقِّي مِنْ تِلْكَ الْمِشْكَاةِ النَّبَوِيَّةِ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ- رحمه الله-: «لَوْ بَلَغَنِي عَنْهُمْ يَعْنِي الصَّحَابَةَ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِزُوا بِالْوُضُوءِ ظُفْرًا مَا جَاوَزْته بِهِ، وَكَفَى عَلَى قَوْمٍ وِزْرًا أَنْ تُخَالِفَ أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِمْ ﷺ». (إعلام الموقعين عن رب العالمين بتصريف).

تفصيل الحكم فيمن تنقص فكيف بمن سب الصحابة العدول (رضي الله عنهم).

قال إمام أهل السنة وحامل لواء الذب عنها الإمام أحمد- رحمه الله-: في «طبقات الحنابلة» (٢/١):: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام ».

وقال الإمام مالك- رحمه الله- عن الذين يسبون الصحابة (رضي الله عنهم) «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه (رضي الله عنهم) حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين ».

وَقَالَ الإمام أَبُو يَعْلَى الْحُنْبَلِيُّ- رحمه الله-: (الَّذِي عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ فِي سَبِّ الصَّحَابَةِ إِنْ كَانَ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ كُفِّرَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِلًّا فُسِّقَ وَلَمْ يُكَفَّرْ) (فتاوى السبكي) (٥/٤١).

وقال الإمام أبو زرعة- رحمه الله- وهو أجلّ شيوخ الإمام مسلم- رحمه الله-: (إذا رأيت الرجل ينتقص امرأً من الصحابة فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة. فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة. فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق) [الصواعق المحرفة لابن حجر الهيثمي]

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَنْصَرِفُ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ إِلَى سَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ، ثُمَّ آلِ الرَّسُولِ ﷺ، إِذْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ. (شرح الطحاوية

وقال الإمام القاضي أبو بكر بن العربي- رحمه الله-: «فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين. وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه.

ودعوا ما مضى فقد قضى الله ما قضى. وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادًا وعملاً. ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعينكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملاً، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ». [العواصم من القواصم]

قلت: يا هذا علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام، وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى عليه السلام، فما بالك يا جاهل تسب أصحاب محمد ﷺ قد علمت من أين أتيت ؟ لم يشغلك ذنبك، أما لو شغلك ذنبك لخفت ربك، لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين.

ويحك، فكيف لم يشغلك عن المحسنين ؟! أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين، ورجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين ؛ فمن ثمَّ عبت الشهداء والصالحين.

أيها العائب أصحاب محمد ﷺ لو نمت ليلك، وأفطرت نهارك، لكان خيراً لك من قيام ليلك، وصيام نهارك، مع سوء قولك في أصحاب نبيك (رضي الله عنهم) ويحك ! فلا قيام ليل، ولا صيام نهار، وأنت تتناول الأخيار، وأبشر بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى.

ويحك ! هؤلاء تشرفوا في بدر، وهؤلاء تشرفوا في أُحد، إذ إن هؤلاء وهؤلاء جاء عن الله العفو عنهم، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. فما تقول فيمن عفا الله عنه ؟

وإلى لقاء إن شاء الله.



الأيمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل ما بدأناه في الحلقتين السابقتين حول الأيمان فنقول وبالله التوفيق:

ثالثًا: اليمين المنعقدة:

اليمين المنعقدة: هي اليمين يقصدها المسلم ويعقد قلبه على تحقيقها بفعل شيء أو عدم فعله في المستقبل، كأن يقول: والله لأشترين لك ثوبًا جديدًا غدًا، أو يقول: والله لا أدخل بيتك لمدة شهر.



شروط اليمين المنعقدة:

لكي تكون اليمين منعقدة، لا بد أن يتوافر فيها عدة شروط، وهذه الشروط بعضها خاص بالحالف نفسه، وبعضها خاص بالشيء المحلوف عليه، وبعضها خاص بصيغة اليمين، وسوف نتحدث عن كل منها بإيجاز:

١- شروط الحالف:

يُشترط في الحالف: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والتلفظ باليمين مع القصد والاختيار.

٢- شروط المحلوف عليه:

يُشترط في المحلوف عليه أن يكون أمرًا مستقبلاً، وأن يكون متصور الوجود حقيقة عند الحلف، بمعنى أن يكون غير مستحيل وجوده.

٣- شروط صيغة الحلف:

يُشترط فيها التلفظ باليمين، ولا تكفي النية وحدها، وأن يكون الحلف باسم من أسماء الله تعالى أو بصفة من صفاته، وأن يكون خاليًا من الاستثناء وهو قول: إن شاء الله(١).

حكم اليمين المنعقدة:

يجب الوفاء باليمين المنعقدة، مع وجوب الكفارة على صاحبها في حالة عدم الوفاء بها. يقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾ [النحل: ٩١].

وقال سبحانه: ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

كفارة اليمين المنعقدة:

كفارة اليمين المنعقدة: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة مؤمنة، والمسلم مخير بين هذه الثلاث، فله أن يُكفِّر بأيها شاء، فإن عجز ولم يستطع أن يفعل واحدًا منها فإنه ينتقل إلى الصوم، فيصوم ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات، ولا يُجزئ الصوم إلا بعد العجز عن الإطعام أو الكسوة أو عتق رقبة مؤمنة(٢).

الحنث في اليمين باعتبار المحلوف عليه:

ينقسم حكم الحنث في اليمين باعتبار المحلوف عليه إلى خمسة أقسام هي:

١- إن كانت اليمين على فعلِ واجبٍ أو تركِ مُحرَّمٍ كان حلُّها (عدم الوفاء بها) مُحرَّمًا لأن حلَّها بفعل المَحرَّم.

٢- إن كانت اليمين على فِعل مندوب (مستحب) أو ترك فعل مكروه، فحَلّها (عدم الوفاء بها) مكروه.

٣- إن كانت اليمين على فعل مباح (جائز) فحَلّها (عدم الوفاء بها) مباح.

٤- إن كانت اليمين على فعل مكروه أو ترك مندوب، فحلُّها مندوب إليه (يُستحب عدم الوفاء بها) لأن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن سَمُرة: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها، فأت الذي هو خير وكفِّر عن يمينك».

٥- إن كانت اليمين على فعل مُحرَّم أو ترك واجب، فحلُّهَا (عدم الوفاء بها) واجب لأن حَلَّها بفعل الواجب، وفعل الواجب واجب(٣).

اليمين على نية المستحلف:

إن اليمين تكون على نية الحالف في كل الأحوال إلا إذا استحلفه القاضي أو نائبه في دعوى توجهت عليه، والتورية- وإن كان لا يحنث بها- فلا يجوز فعلها حيث يبطل بها حق المستحْلِف(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يمينُك على ما يصدِّقك عليه صاحبك»(٥).

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اليمين على نية المستحْلِف»(٦).

قال النووي: إذا ادعى رجل على رجل حقًا، فحلَّفه القاضي، فحلف وورَّى غير ما نوى القاضي، انعقدت يمينه على ما نواه القاضي ولا تنفعه التورية، وهذا مجمع عليه(٧).

فائدة هامة:

لو كانت اليمين على نية الحالف لما كانت لها معنى عند القاضي ولضاعت الحقوق بين الناس.

التورية في اليمين:

التورية: هي أن يقصد الحالف شيئًا غير الذي يحلف عليه إذا كان المستحلف ظالمًا للحالف أو لغيره، فيجوز للحالف التورية ليحفظ حقه أو لينصر مظلومًا(٨).

ولأن الظالم ليس له حق التحليف، فجاز للمظلوم أن يوري في يمينه.

روى أبو داود عن سويد بن حنظلة قال: «خرجنا نريد رسول الله ﷺ، ومعنا وائل بن حُجر، فأخذه عدو له، فتحرَّج القوم أن يحلفوا، وحلفت أنه أخي فخلى سبيله، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرته أن القوم تحرجوا أن يحلفوا، وحلفت، قال: صدقت، المسلم أخو المسلم»(٩).

مبنى الأيمان على العُرْف والنية:

قال الشيخ سيد سابق في «فقه السنة»: أمر الأيمان مبني على العُرْف الذي دَرَجَ عليه الناس، لا على دلالات اللغة، ولا على اصطلاحات الشرع، فمن حلف ألا يأكل لحماً، فأكل سمكًا، فإنه لا يحنث، وإن كان الله سماه لحمًا، إلا إذا نواه، أو كان يدخل في عموم اللحم في عُرْف قومه(١٠).

يمين الناسي والمكره والمخطئ:

من حلف أن لا يفعل شيئًا ففعله ناسيًا أو مخطئًا أو مكرهًا عليه كرهًا شديدًا، يضر بنفسه أو ماله أو عرضه، فلا إثم عليه ولا كفارة(١١).

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

روى أحمد عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١٢).

ومن صور الفعل الخطأ: أن يدخل المسلم دارًا لا يعرف أنها المحلوف عليها أو كمن حلف ألا يسلم على شخص مُعين، فسلم عليه وهو لا يعرف أنه هو الشخص الذي حلف ألا يسلم عليه.

الحنث في اليمين لصلحة شرعية:

الحنث في اليمين: هو الخُلْفُ وعدمُ الوفاء باليمين.

يجوز للمسلم أن يحنث في يمينه، ويكفر عنها من أجل مصلحة شرعية راجحة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: «لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، ولكن إذا حلف أحدكم فرأى الذي هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس، فليحنث في يمينه، وليبر، وليتق الله وليصلح بين الناس وليكفر عن يمينه(١٣).

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»(١٤).

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

قال: «والله لأن يَلِجَ أحدكُم بيمينه في أهله آثمٌ له عند الله من أن يُعطِي كفارته التي افترض الله عليه»(١٥).

اللَجَاجُ: هو أن يتمادى الإنسان في الأمر ولو تبين له خطؤه، وأصل اللجاج في اللغة هو الإصرار على الشيء مطلقًا(١٦).

قال النووي- رحمه الله-: معنى الحديث: أنه إذا حلف يمينًا تتعلق بأهله ويتضررون بعدم حنثه، ويكون الحنث ليس بمعصية، فينبغي له أن يحنث فيفعل ذلك الشيء ويكفِّر عن يمينه، فإن قال: لا أحنث، بل أتورع عن ارتكاب الحنث وأخاف الإثم فيه، فهو مخطئ بهذا القول، بل استمراره في عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثمًا من الحنث(١٧).

وقت إخراج كفارة اليمين:

من حلف على يمين فهو مُخيَّر في إخراج الكفارة قبل الحنث وبعده سواء كانت الكفارة صومًا أو غيره إلا في كفارة الظهار فعليه إخراج الكفارة قبل الحنث في اليمين لقوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة: ٣](١٨).

روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إني إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيتُ الذي هو خير وتحللتها»(١٩). تحللتها: جعلتها حلالاً بإخراج الكفارة.

وروى الشيخان عن عبد الرحمن بن سمرة، أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها، فأت الذي هو خير، وكفِّر عن يمينك»(٢٠).

وفي رواية لأبي داود عن عبد الرحمن بن سمرة أن الرسول ﷺ قال له: «فكفِّر عن يمينك ثم ائتِ الذي هو خير»(٢١).

ورواية أبي داود صريحة في تقديم الكفارة على الحنث في اليمين، وممن قال بجواز تقديم الكفارة على الحنث في اليمين أربعة عشر صحابيًا(٢٢)، وقد أيد هذا المذهب البخاري في صحيحه حيث قال في كتاب كفارات الأيمان باب الكفارة قبل الحنث وبعدَهُ(٢٣).

إخراج الكفارة قبل الحلف:

لا يجوز إخراج الكفارة قبل الحلف باليمين لأنه تقديم للحكم قبل سببه، فلم يجز كتقديم الزكاة قبل ملك النصاب وكفارة القتل قبل الجروح(٢٤).

من مات وعليه كفارة يمين:

إذا مات المسلم وعليه كفارة يمين، وجب إخراجها من تركته قبل تقسيمها، سواء أوصى بذلك أم لم يوص(٢٥).

الهوامش:

١- بدائع الصنائع للكساني ج٣ ص١٠: ١٢، الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي ج٣ ص٣٩٢، ٣٩٦ .
٢- بداية المجتهد لابن رشد ج١ ص٦٢٨ .
٣- المغني لابن قدامة بتحقيق التركي ج١٣ ص٤٤٤، ٤٤٥، بدائع الصنائع للكاساني ج٣ ص١٧، ١٨ .
٤- نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٣٠٢ .
٥- مسلم حديث ١٦٥٣ .
٦- مسلم كتاب الأيمان حديث ٢١ .
٧- مسلم بشرح النووي ج٦ ص١٣١ .
٨- المغني لابن قدامة بتحقيق التركي ج١٣ ص٤٩٧: ٥٠١ .
٩- أخرجه أبو داود وصححه الألباني .
١٠- فقه السنة للسيد سابق ج٤ ص١٢ .
١١- روضة الطالبين للنووي ج١١ ص٧٨، ٧٩، المغني لابن قدامة ج١٣ ص٤٤٦: ٤٤٨ .
١٢- حديث صحيح : صحيح الجامع للألباني حديث ١٧٣١ .
١٣- جامع البيان لابن جرير الطبري ج٢ ص٤٠٢ .
١٤- مسلم ج١ كتاب الأيمان حديث ١٣ .
١٥- البخاري حديث ٦٦٢٥، ومسلم حديث ١٦٥٥ .
١٦- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١١ ص٥٢٨ .
١٧- مسلم بشرح النووي ج٦ ص١٣٧ .
١٨- المغني لابن قدامة ج١٣ ص٤٨١- ٤٨٣، المحلى لابن حزم ج٨ ص٦٧ .
١٩- البخاري حديث ٦٧٢١ .
٢٠- البخاري حديث ٦٧٢٢، مسلم حديث ١٦٥٠ .
٢١- حديث صحيح : صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٨٠٦ .
٢٢- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١١ ص٦١٧ .
٢٣- البخاري - كتاب كفارات الأيمان باب ١٠ .
٢٤- المغني بتحقيق التركي ج١٣ ص٤٨٣ .
٢٥- روضة الطالبين للنووي ج١١ ص٢٥ .

وقفة مع النفس

إعداد
عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

فإنَّ رأس مال المسلم في هذه الدنيا هو الوقت، والوقت أنفس من المال وأغلى، أرأيت لو أن محتضرًا وضع أمواله جميعًا ليُزاد في عمره يومًا واحدًا، أو ساعة، أو دقيقة واحدة هل يحصل له ذلك التمديد وتلك الزيادة ؟

والجواب: لا، فإن ذلك لن يكون.

والأيام مراحل ومطايا، تُبْعِدُ من الدنيا وتُدني من الآخرة.

إنَّا لنفرحُ بالأيام نقْطعُهَا ... وكُلُّ يوم مَضَى يُدْني مِنَ الأجلِ

نعم كلُّ يوم يُدني من القبور، ويبعدُ عن عامِرِ الدُّور، فهل من وقفة مع النفس؟

إنَّ الموفَّق من يسعى لصلاح حاله، بحيثُ يكونُ غدُهُ خيرًا مِنْ يومِهِ، ويومُهُ أفضلَ من أمسهِ، وعامُهُ الجديدُ أفضلَ من عامِهِ الماضي، والكيس من حاسبَ نفسَهُ، وراجَعَ حساباتِه، وفتحَ صفحةً جديدةً من حياته، وتعهَّدَ رصيدَهُ الأُخرويَّ، وتزوَّدَ من العمل الصالح، وقدَّر لخطاهُ مواضِعَهَا، فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في الآخرة، فلا يحسن بالمسلم أن يضيع أوقاته، وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه، ومَن جَهِل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، وأُخِّر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فاته، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

وهل يجاب لطلبه؟ ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

يقول تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

والموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفَّى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنَّةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدأوا من جديد عملاً صالحًا.

هيهات هيهات لما يطلبون؛ فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧- ٢٨].

أخي الحبيب: الزمن كالمال كلاهما يجب الحرص عليه والاقتصاد في إنفاقه وتدبير أمره، وإن كان المال يمكن جمعه وادخاره بل وتنميته، فإنَّ الزمن عكس ذلك، وإذا كان الزمن مقدرًا بأجل معين وعُمر محدّد لا يمكن أن يُقدَّم أو يؤخَّر، وكانت قيمته في حُسن إنفاقه، وجب على كل إنسان أن يحافظ عليه ويستعمله أحسن استعمال ولا يفرط في شيء منه قلَّ أو كثر.

ولكي يحافظ الإنسان على وقته يجب أن يعرف أين يصرفه، وكيف يصرفه، وأعظم المصارف وأجلها طاعة الله عز وجل، فكل زمن أنفقته في تلك الطاعة لن تندم عليه أبدًا.

وليكن شعارك: ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

قال الحسن: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلانًا من الله عز وجل.

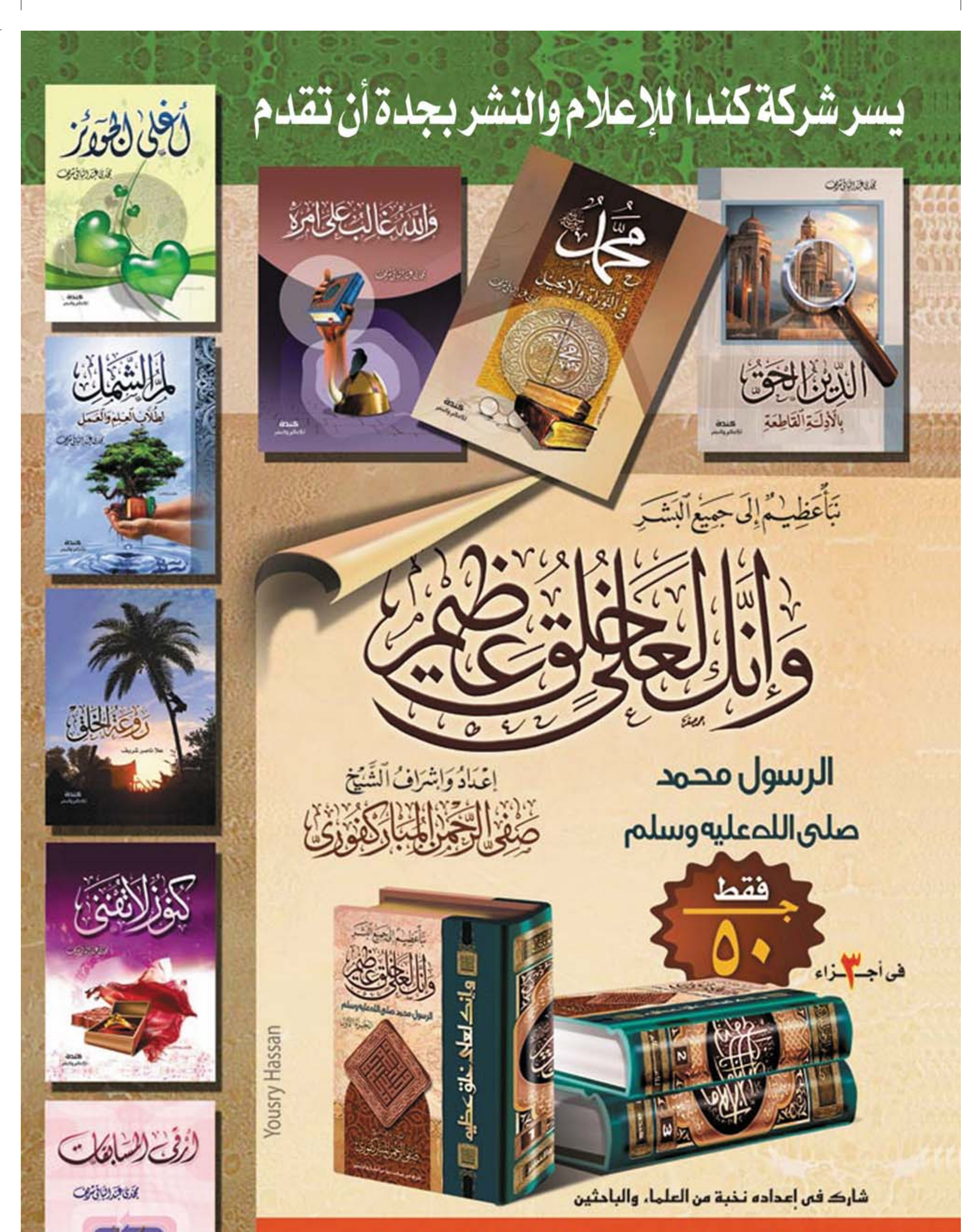
فينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، فإنَّ الليل والنهار يُبْلِيان كلَّ جديد، ويُقَرِّبان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويُشيبَان الصغار، ويفنيان الكبار، قال بلال بن سعد: يُقال لأحدنا: تريد أن تموت ؟ فيقول: لا، فيقال له: لِمَ؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال له: اعمل؟ فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدّنيا.

فيا أخي الحبيب: استثمر وقتك ولا تضيع دقيقة منه، ولا تكن كمن إذا جاءه هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، ولكن الرجعة مستحيلة، والعود بعيد، «كلا».

فاعمل - أخي - لهذا اليوم، واستعد له، واعلم أنه لن يصوم عنك أحد، ولن يصلِّي عنك أحد، ولن يُرضي عنك ربك أحدًا، فاعمل لنفسك، وأحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما مضى وما بقي.

جعلني الله وإياك ووالدينا في روضات الجنات، وبارك في أعمالنا وأوقاتنا، وجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



يسر شركة كندا للإعلام والنشر بجدة أن تقدم
أغلى الجوائز
والله غالب على أمره
محمد في التوراة والإنجيل
الدين الحق بالأدلة القاطعة
لم الشمل لطلاب العلم والعمل
روعة الخلق
كنوز لا تفنى
أرقى المسابقات
نبأ عظيم إلى جميع البشر
وإنك لعلى خلق عظيم
الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم
إعداد وإشراف الشيخ
صفي الرحمن المباركفوري
فقط
٥٠ جـ
في أجـ٣ـزاء
شارك في إعداده نخبة من العلماء والباحثين
Yousry Hassan
تطلب إصداراتنا من المكتبة الإسلامية
٠١٠٦٦٨١٥٢٤ - ٠٢/٤٩٩١٢٥٤ - ٠٢/٤٩٠٠٦٠٦